317

HARLEQUIN

روايات أحلام

امرأة تحت الرماد

كيم لورنس

www.elromancia.com
مرمورية

امرأة تحت الرماد

نيكوس لايكس أكبر أثرياء اليونان ، يبدو دائماً مسيطراً على نفسه متحكماً في تصرفاته .. وجذاباً بشكل مثير .. تزوج نيكوس من امرأة لم يرها سوى مرة واحدة في حياته عند إجراء مراسم الزواج .

ومع أن كاترينا هي زوجته ، لكنها لم تكن يوماً حبيبته .

... جمعهما القدر بعد سبع سنوات ، ليضعهما في مواجهة صعبة أيقظت فيهما مشاعر بدائية وشغفاً لا يقاوم .

فهل بإمكان كاترينا أن تحصل على الطلاق لكي تتزوج من خطيبها ، صديق نيكوس ؟ وهل سيتمكن كلاهما من تجاهل النار التي تشتعل تحت رماد الماضي ؟

كيم لورنس

تقيم كيم في مزرعة ريفيّة في قرية «أنغلسي». تمارس رياضة الجري كل يوم، فتركض مسافة ميلين، وهي تجد في ذلك فرصة لتنشّق الهواء النقي والبحث عن وحي لكتاباتها! تساعدها هذه الرياضة على مجاراة زوجها وابنيها النشيطين ومجموعة الحيوانات الأليفة المحيطة بهم. تعشق كيم قراءة الروايات الخرافية، وهي تحب الكتابة والتأليف بالمقدار نفسه، وتروقها النهايات السعيدة!

١ ـ عينان لا تنسيان

قلّة من الناس تتاح لهم فرصة رؤية الطابق الأخير من «مبنى لايكس الزجاجي الشاهق». أمّا الدخول إلى قاعة المحاضرات، فهو غير متاح إلّا للنخبة بينهم، لذلك شعر المجتمعون بنوع من الصدمة عندما فُتح الباب المزدوج بقوّة.

تطاير الشرر من عينيّ نيكوس لايكس اللوزيّتين الداكنتين، وهمّ بتوجيه تأنيب حادّ، إلّا أنّه عاد فتراجع ما إن تبيّن هويّة الدخيلة.

دخلت ذات الشعر الأحمر إلى القاعة بخطى واسعة وثابتة، ووضعت يديها على خصرها النحيل. وما لبثت أن ظهرت خلفها مساعدة نيكوس الخاصة لاهثة مضطربة، ووجّهت إلى رئيسها نظرة اعتذار قبل أن تنسحب بسرعة قصوى.

مرّت دقيقة طويلة من الصمت المتوتّر قبل أن توجّه كايتلين لايكس ضربتها: «هل الخبر صحيح يا نيكوس؟ هل تخطّط فعلاً للزواج من تلك المرأة؟ هل فقدت صوابك؟».

لم تتوقّع كايتلين أن يبرّر لها ابن زوجها طريقة تصرّفه، فقد أثبتت لها خبرتها أنّ اليونانيين بشكل عامّ، ورجال عائلة لايكس بشكل خاص، لا يميلون إلى تبرير تصرفاتهم.

من بين جميع الجالسين حول الطاولة المستطيلة، بدا نيكوس الشخص الوحيد الذي لم يضطرب بشدّة من جراء هذا الهجوم، مع أنّ هذه الاتّهامات القاسية كانت موجّهة إليه بالذات. فقد بقي جالساً بهدوء طوال فترة

www.elromancia.com

الصمت المثير الذي تلا خطاب زوجة أبيه، وهو يدير قلماً بين أصابعه الطويلة.

ـ إن لم يكن لدى أيّ منكم مانع...؟

لم يُظهر رجال الأعمال المجتمعون أيّ ميل للمعارضة، فمعظمهم يفضّلون أن يرموا بأنفسهم من الطابق العشرين للمبنى المطلّ على المدينة على معارضته. مع أنّهم قبل سنتين، تقبّلوا وجوده على مضض إكراماً لأبيه ليس إلا. وكانت الغالبية تعتقد أنّه لن يصمد طويلاً.

أمّا الآن، فباتوا يكنّون له الاحترام لمعرفتهم بأنّه يفي بوعوده دائماً. فقد تبيّن أنّ الرجل، وإن كان زير نساء، يملك أعصاباً متينة ودماغاً صلباً كالحديد. وقد كرّس نفسه كلياً للعمل، وتوقّع أن يتمثّل به كلّ من حوله.

ـ أظنّ أنّ هذا كلّ شيء بالنسبة لهذا اليوم. شكراً لكم أيّها السادة.

سارع أعضاء مجلس الإدارة بالوقوف، فسألها: «كيف حال أبي؟».

أجابت كايتلين: «والدك بخير. لا تغيّر الموضوع».

بدت التسلية على نيكوس بسبب هذا الكلام القاسي، إذ رفع حاجبه القاتم وأشار بنظره إلى الرجال الذين كانوا يسرعون في جمع أغراضهم.

وبالرغم من شعورها بالغضب، تمكّنت كايتلين من ضبط نفسها إلى أن خرج آخر أعضاء مجلس الإدارة وأقفل الباب خلفه. حتّى أنّها أجابت بتهذيب على التحيّة المتكلّفة التي ألقاها عليها البعض.

تسلّل وميض من التسلية إلى عيني نيكوس وهو يراقب جهودها لاحتواء إحباطها. فالمرأة التي تزوّجت والده منذ حوالى ثماني عشرة سنة تتحلّى بصفات عديدة، ولكنّها ليست صبورة على الاطلاق. مع أنّه يعترف أنّ كايتلين أظهرت صبراً كافياً حتى كسبت ثقة أولاد زوجها المشكّكين. فهو لا يزال يذكر اللحظة التي كسبت ودّه فيها. يومها، بدا عليها الجهل والخوف وهي تقف أمام طاولة مليئة بالفضّيات الثمينة والخزف الصيني الفاخر. فقال لها مفسّراً: «لا يهمّ حقّاً أيّ شوكة تستعملين. عليك فقط أن تتصرّفي وكأنّك تعرفين ماذا تفعلين، فيظنّ الناس أنّهم هم المخطئون».

نظرت كايتلين للحظة إلى الصبيّ البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة، قبل أن تهزّ رأسها وتهتف: «شعرت لوهلة أنّ والدك يتكلّم».

شعر نيكوس بتورّد دافىء في وجنتيه عند سماع كلماتها: «لا بدّ أنّك تقصدين ديميتري».

كان ديميتري الابن الأكبر المفضّل، الذي يعدّه والده لتسلّم الأعمال. فاعترفت كايتلين: «ديميتري يشبه سبايروس في شكله. ولكن أنت...».

وأشارت إلى رأسها ثم أضافت: «أنت تفكّر مثله».

حالياً، تملك كايتلين الجذّابة والبالغة من العمر خمس وأربعين سنة دار أزياء ناجحة. لكنّها لا تبدو مختلفة جدّاً عمّا كانت عليه وهي شابّة. ما إن أقفل الباب حتى قالت: «حسناً، لقد خرجوا. مع أنّني أظنّ أنّ الأوان قد فات للتكتّم، فمنذ وصلت إلى أثينا وكلّ ما أسمعه هو: «متى يتمّ الزفاف؟»».

وأضافت باستهزاء: «لا تقل لي إنّك تحب ليفيا نيكولايدس!».

ـ وما هو الحبّ؟

أشاحت كايتلين بنظرها عنه، وأطلقت صفيراً خافتاً لدى سماعها هذا القول الاستفزازي الوقح، ثمّ أجابت بحدّة: «أعرف أنك مررتَ ببعض العلاقات السيئة... لكن هذا يحصل للجميع. لذا أرجوك أن تعفيني من هذه السخرية المضجرة، وتكفّ عن تجنّب الموضوع يا نيكوس».

تقبّل نيكوس التأنيب بابتسامة حزينة. فلان تعبير كايتلين القاسي بشكل ملحوظ، ولكن لفترة قصيرة. ثم عادت لتقول بلهجة لاذعة: «عليك أن تبتسم أكثر».

مع أنّها اعترفت في سرّها بأنّه لا يملك الوقت أو السبب للابتسام، منذ وقعت على كتفيه مسؤولية امبراطورية لايكس بأكملها.

اعترف بهدوء: «لست مغرماً بليفيا».

لو وقع في حبّ ليفيا لكان ذلك عائقاً في وجه ارتباطهما الناجح. لأنّه في هذه الحالة، لن يتمكن من ملاحظة مدى أنانيتها، بل سينشغل كلياً

بسحرها وجمالها. أمّا في وضعه الحالي، فهو لا يتوقّع منها أموراً كثيرة قد تؤدّي به في ما بعد إلى خيبة أمل. وهي من جهتها، لن تطلب منه وقته وما لا يستطيع تقديمه، لأنها تربّت أيضاً في بيئة مشابهة للبيئة التي تربّى فيها.

تنفست كايتلين الصعداء وقالت: «إذاً، فالأمر ليس صحيحاً. لم تكن تتردّد على بيتها...».

ـ وهل قلت ذلك؟ تحلم العديد من النساء بالزواج من رجل غنيّ...

ـ يا إلهي! أنت تقدّر النساء حقّاً.

تقبّل نيكوس ملاحظة زوجة أبيه باستهزاء: «يمكنني الحكم عليهنّ من خلال تجربتي الخاصة فقط».

ـ وهي واسعة ومتنوّعة.

بالرغم من الاستنكار الواضح في صوتها، إلا أنّ كايتلين لم تستغرب عدائيته تجاه النساء. فمنذ بلغ نيكوس سنّ الرشد وهو يتمتع بجاذبية تؤثر في الفتيات والنساء على حدّ سواء. وإن كان يظنّ أنّ ثروته فقط هي ما يهمّهنّ حقاً، فهو يستخفّ بنفسه كثيراً.

ـ قلّة من النساء يمكنها تحمّل الزواج من الرجل المسؤول عن الإدارة اليومية لأعمال لايكس.

ـ أنا فعلت.

ذكّرته كايتلين بذلك، ثمّ لانت تعابيرها القاسية وأضافت: «مع مساعدة صغيرة من أصدقائي».

ـ أنت امرأة استثنائية. ليفيا ليست كذلك، ولكنّها ولدت لهذا النوع من الحياة. أظنّ أننا ـ أنا وليفيا ـ مناسبان جدّاً لبعضنا البعض.

حدّقت كايتلين إليه باشمئزاز. يبدو أنّ زير النساء تحوّل إلى رجل غبيّ مثير للضجر: «يا إلهي...!».

ـ أستنتج أنّك لا تحبّين ليفيا.

قال نيكوس ذلك وابتسم بطريقة متفهّمة وجدتها زوجة أبيه مثيرة للغاية: «ليس لحبّي لها أيّ دخل في الموضوع».

وراحت تفكّر في السمراء ذات التربية الممتازة والابتسامة الماكرة والعينين القاسيتين. وبينما نظرت بقلق إلى وجه ابن زوجها الوسيم، اختفت عدائيّتها ليحلّ محلّها تعبير قلق: «نيكوس، حبيبي، ليفيا ليست مناسبة أبداً لك. لا يمكنك الزواج بها».

ـ هذا صحيح. لا يمكنني ذلك... لا سيّما وأني متزوّج أصلاً.

***

ـ يا إلهي! يا له من حجر كريم!

قالت سايدي ذلك وأمسكت اليد الصغيرة قبل أن تتمكّن صاحبتها من إخفائها تحت الطاولة. طرفت بعينيها عندما انعكس الضوء على الماسة التي بدت ثقيلة في إصبع صديقتها الشابة، وقالت بلهجة حاسدة: «إنّه رائع».

ثمّ أضافت متأمّلة، بينما رفعت نظرها إلى وجه كايتي المتورّد: «ظننت أنك ستختارين شيئاً غير...».

أجابت كايتي من دون تفكير: «غير ملفت للنظر إلى هذا الحد؟».

تجهّمت لسماع هذه النبرة الكئيبة في صوتها، ووبّخت نفسها بغضب.

فعارضتها سايدي بلباقة: «أعني غير... تقليدي. شيء يتماشى أكثر مع عملك».

وأضافت بحزن: «هذا ليس عدلاً. أنفق على الملابس في أسبوع أكثر مما تنفقين أنت طوال السنة، وانظري إليّ. إن توقّفت عن تناول الطعام مدّة شهر، قد تبدو عليّ الملابس هكذا...».

وتفحّصت بنظرة حاسدة قامة صديقتها الطويلة والنحيفة، ثمّ قضمت بهدوء آخر قطعة من حلوى الكريما التي في الطبق.

انجرفت كايتي وراء أفكارها بينما جلست تنظر إلى إصبعها. تذكّرت بقليل من الحزن ذلك الخاتم المرصع بالياقوت واللآلىء الذي رأته في واجهة متجر مجوهرات صغير، والذي بدا أنّه أعجب توم إلى أن ألقى نظرة على سعره المعتدل، ثمّ أبعده وكأنّه خرقة غير جديرة بالاهتمام.

وراح يشرح لها في ما هما خارجان من المتجر صفريّ اليدين: «كلّما كان الثمن مرتفعاً كلما كانت البضاعة التي تشترينها أكثر قيمة».

وعلت الحيرة وجهه المشرق الجميل عندما أضاف: «لا تسيئي فهمي يا حبيبتي. ولكن أيّ فتاة كانت ستتوجه إلى أرقى المحلاّت عندما تعلم أن الرجل مستعد لدفع ثمن ما ترغب في شرائه».

ـ أعلم ذلك. في الواقع، أنت كريم أكثر من اللزوم يا توم.

ظهر العبوس على جبهة كايتي العريضة الناعمة. لم يكن توم قادراً على تقبّل فكرة أنّ تذكاراً صغيراً يسعدها أكثر من الهدايا الباهظة الثمن التي يمطرها بها.

أعلن توم: «حسناً، عليك أن تعتادي على ذلك عندما نتزوّج. أنت امرأة جميلة وتستحقّين الهدايا الثمينة. وأنا سأسعى إلى تقديمها لك، سواء أعجبك ذلك أم لا».

أضاف ذلك بابتسامة مصمّمة، فأجابته بجدّية: «ولكن كلّ ما أريده هو أنت يا توم».

فوجىء توم بردّها، وبدا عليه السرور فجذبها نحوه: «حقاً...؟».

ـ طبعاً.

أدركت كايتي أنّ كلامها ليس سوى محاولة لإقناع نفسها، فاعترفت على مضض: «أظنّ أنني لست... شخصاً يعبّر عن عواطفه ببساطة».

أجابها توم بهدوء: «أقدّر مبادئك حبيبتي، وأنا مستعدّ للانتظار».

تجاهلت كايتي الصوت المضطرب في رأسها: (مبادىء أم برود عاطفي؟).

ذكّرت نفسها أنها محظوظة إذ وجدت رجلاً حسّاساً متفهّماً يحبّها بجنون. ثمّ قالت في سرّها: (ولكن حبّه ليس بالجنون الكافي بحيث لا يستطيع إبعاد يديه عنك..).

عانقت كايتي توم بحماسة مبالغ فيها. كان لا بدّ من أن تكون الكلمة النهائية للصوت الساخر الذي أضاف في رأسها: (ففي النهاية، لما قد ترغبين

في أن تكوني مع رجل لا يستطيع كبح حاجاته الغريزية الدنيئة...؟).

قالت لصديقتها: «هذا الخاتم أعجب توم حقاً».

ـ هذا واضح.

عضّت سايدي شفتها وأضافت معتذرة: «عذراً حبيبتي، ولكن عليك الاعتراف بأنه يتصرف تبعاً لسياسة صارمة تقول «إن كنت تملكين المال، فتباهي به»».

تنهّدت كايتي وأجابت الفتاة الأكبر سنّاً بجدّية: «أعلم ذلك، ولكنّه طيّب يا سايدي. وهو حقاً ألطف رجل التقيته في حياتي».

وأضافت في سرّها: (وهو أيضاً مملّ كفصل الشتاء). ثمّ تابعت قائلة: «لذا فخطوبتنا أصبحت رسمية».

وكان توم برسيفال قد طارد كايتي بعزم وإصرار طوال ستة أشهر.

أسندت سايدي ذقنها إلى راحة يدها وسألت: «كيف تقبّل الأمر عندما أخبرته؟».

كشرت كايتي، وأجابت متجنّبة النظر إلى صديقتها: «حسناً...في الواقع..».

فتعجّبت سايدي: «أخبرته، أليس كذلك؟».

جعلتها إجابة سايدي المصدومة تشعر بالذنب، فأحنت كتفيها بطريقة دفاعية، ثمّ أجابت: «بدا سعيداً للغاية، وأنا فضّلت أن أنتظر الوقت المناسب».

بدا العذر ضعيفاً للغاية، حتى بالنسبة إليها.

تأوّهت سايدي بقوة جعلت معظم روّاد المقهى يستديرون لينظروا إليهما: «ومتى يكون الوقت أفضل؟ يوم الزفاف، عند المذبح؟».

قالت ذلك بصوت خافت أجشّ، وهي تنظر إلى المرأة الشابة غير مصدّقة، وأضافت: «اسمعي، أنا أوّل من يعترف بأنّ ما حدث قبل دخوله حياتك ليس من شأنه. فحياة المرأة تخصّها وحدها. لكنّ هذا لا ينفي كونك متزوّجة يا حبيبتي. وهذا يعطي توم كامل الحقّ في معرفة ذلك».

ـ أعرف... أعرف!

أغمضت كايتي عينيها وطقطقت أصابعها، ثمّ أضافت: «في الواقع، أنا لا أشعر أنّني متزوّجة. كنت سأخبره... سأفعل ذلك فعلاً، ولكن فكّرت في أن أنتظر حتى تصلني أخبار من هارفي».

ـ هارفي هو المحامي الوسيط في عقد الزواج؟

أومأت كايتي برأسها، فأكملت سايدي: «لا يبدو لي أنه موضع ثقة».

لدى سماعها هذا الوصف لهارفي رينولدز، ابتسمت كايتي وشعرت بحاجة للدفاع عنه: «ربما، لكنّه أحد المحامين الجنائيين الممتازين في البلاد، وأنا أعرفه منذ كنت طفلة صغيرة».

ثم عضّت بلطف على شفتها السفلى الزهرية اللون وأضافت: «لا أرى أيّ مانع في الحصول على طلاق سريع...؟».

رفعت سايدي حاجبيها بطريقة ساخرة، وأجابت بجفاف: «لست على الأرجح، الشخص المناسب لتسأليه عن الطلاق الودّي».

ـ هذا ليس زواجاً حقيقياً ما يشكّل فرقاً بدون شكّ.

ـ ألم تريه حقاً منذ الاحتفال بالزواج؟

هزّت كايتي رأسها نفياً. لم تفاجئها نبرة عدم التصديق في صوت صديقتها. هل يمكن لأحد ما ألا يشعر بالصدمة عندما يسمع أنّها تزوّجت من شخص غريب؟ تباً، لقد فعلت... ولكنّها تشعر أحياناً أنّ الأمر حدث مع شخص آخر غيرها.

ـ لا، لم أره منذ سبع سنوات. صلتي الوحيدة به هي هارفي. لطالما كانت كذلك.

يومها، لم يوافق المحامي المتيّم بأمها على تقديم المساعدة لها إلا عندما أخبرته أنّها ستمضي بخطّتها مع مساعدته أو بدونها.

وقد قال لها هارفي في مكتبه آنذاك: «إن كنت تفكّرين في الزواج من شخص يريد البقاء في البلاد، فيما إقامته شارفت على الانتهاء، فانسي الأمر. إلّا إذا أردت أن تعرّضي نفسك للملاحقة القضائية».

ونظر إليها بقسوة فاعترفت كايتي بعينين يملؤهما الرعب: «لم أفكّر بهذا».

ـ يبدو لي أنّك لم تفكّري كثيراً بالأمر برمّته.

ـ إن كنت ستحاول منعي...

ـ لو كنت أعلم أنّ لديّ فرصة للنجاح لفعلت.

اعترف الرجل بذلك بصدق وأضاف: «سأقوم بمساعدتك من أجل أمّك، لكنني أريدك أن تفكّري بهذا الأمر جيّداً، قبل ذلك».

ـ على فكرة، أمّي معجبة جداً بك أيضاً.

مسكين هارفي. فأمها أحبّت رجلاً واحداً في حياتها، وهو والد كايتي، وضحّت بكلّ شيء لتكون معه. تساءلت كايتي إن كانت ستجد يوماً ما حبّاً كهذا، حبّ لا يفكّر بالعواقب ويدوم إلى الأبد. لم تكن متأكّدة تماماً من أنّها تريد ذلك، ففكرة الوقوع ضحيّة شغف أعمى كهذا تخيفها.

ـ تدركين طبعاً أنّ الرجل الذي سيتزوّج بك قد لا يرضى بدفعة واحدة من المال؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ أقصد أنّه قد يعود ليطالب بالمزيد. لا يمكنك أن تثقي بشهامته.

شرح هارفي الأمر بفظاظة وأضاف: «ربما سيسعى إلى ابتزازك لاحقاً».

ـ لكن لن يتبقّى لديّ الكثير من المال. فأنا سأتبرّع بالباقي.

لم تستطع كايتي منع نفسها من التفكير في أنّ التعامل مع المجرمين والمتهمين جعل هارفي يشكّ في كلّ شيء.

ـ وهذا أمر آخر. هل تعتقدين أنّ التخلي عن إرثك بكامله قرار حكيم أيضاً؟

قاطعته كايتي بحدّة: «لا مجال للمناقشة».

فتنهّد المحامي قائلاً: «في هذه الحالة، ما رأيك بزيادة المبلغ الذي ستدفعينه للعريس؟».

ـ كم؟

ذكر لها هارفي المبلغ فأصيبت بالهلع: «لا بدّ أنّك تمزح...؟».

ـ قد يبدو المبلغ كبيراً... حسناً في الواقع، إنّه كبير بالفعل. ولكن على المدى الطويل، أظنّ حقاً أنّ هذا خيارك الأفضل. أعرف شخصاً يحتاج إلى سيولة، ويفضّل عدم اللجوء إلى المصادر المعتادة لأسباب لا أستطيع ذكرها...

فقالت بارتياب: «خمسمائة ألف باوند مبلغ كبير للغاية».

ـ صحيح. ولكنّ رأس المال الباقي سيكون أكثر من كافٍ لتأمين مدخول جيد لعائلة غراهام. كما أنّ هذا الرجل لن يطالبك بأي شيء آخر أو يزعجك بأيّ شكل من الأشكال. أضمن لك هذا شخصياً.

فسألت بفظاظة: «ولماذا يحتاج هذا الشخص إلى هذا المبلغ من المال؟».

ـ لا يحقّ لي مناقشة الأمر. الخيار يعود إليك. كلّ ما يمكنني قوله هو أنّني أضمن شخصياً أمانة هذا الشخص.

حتى لو كان هذا الرجل مشبوهاً، فما هي خياراتها البديلة؟ يمكنها أن تنشر إعلاناً في صفحة الأحوال الشخصية، ولكن هارفي على حقّ، لا تعرف أي نوع من الرجال سيجيب على إعلان تبحث صاحبته عن زوج!

ـ حسناً إذاً.

ـ رائع. ١٠ علىّ الآن إلّا أن أقنع ن... أقنعه هو...

ـ تقنعه هو...؟

فهدّأها هارفي قائلاً: «لا تقلقي عزيزتي. أنا متأكّد من أنّه سيوافق».

وقد وافق الرجل، ولم تندم كايتي على قرارها حتى الآن.

ـ إذاً، هذا الرجل الذي تزوّجته، يمكن أن يكون في أيّ مكان، يفعل أيّ شيء... كما يمكن أن يكون ميتاً. الاحتمال الأخير قد يناسبك أكثر.

عادت كايتي إلى الواقع لدى سماعها مزاح صديقتها: «سايدي!»

ارتسمت على شفتي سايدي ابتسامة عريضة خجولة وقالت: «حسناً، قد يكون كذلك فعلاً. أنا أحاول فقط أن أكون موضوعية».

ـ أريد أن أطلّق الرجل، لا أن أقتله!

لطالما احترمت سايدي رغبة صديقتها الشابة في التكتّم، ولكنّ فضولها تغلّب عليها فسألت: «إذاً، كلّ ما تعرفينه عن الرجل هو اسمه؟»

لم يسبق لكايتي أن تحدثت عن الأمر بأكثر من أنّ الزواج كان الطريقة الوحيدة لتتمكّن من الحصول على المال الذي ورثته عن جدّها اليوناني. وهذا جعلها عاجزة عن الإجابة عن سؤال يفرض نفسه: لِمَ هي مفلسة تماماً هذه الأيام؟

أومأت كايتي برأسها: «نيكوس لايكس».

ووجدت نفسها تكره لفظ اسمه.

ـ أهو يوناني؟

ـ هذا ما ظننته آنذاك.

ـ نيكوس لايكس... هل بدا مثيراً بقدر ما يوحي به اسمه؟

ضحكت سايدي بصوت أجشّ وأكملت: «أم كان قصيراً وبديناً وأصلع؟».

أجابت كايتي باختصار: «لا أذكر».

لم تعرف حقاً لما كذبت. فمعظم ذكرياتها عن ذلك اليوم مشوّشة، لكنّها لم تنسَ وجه الرجل الذي وقفت إلى جانبه ليتبادلا النذور المقدّسة. لم تعرف يومها ماذا كانت تتوقّع، ولكن ليس نيكوس لايكس بالتأكيد!

كان هارفي يراقبها بقلق عندما وصل اليوناني الطويل القامة، ولا بدّ أنّه لاحظ تأثير الصدمة على قسمات وجهها. فتمتم: «أفترض أنّه يشبه أخاك قليلاً. كان يجب أن أخبرك بذلك».

هزّت كايتي رأسها وقالت: «ليس مثله تماماً».

لم تقل ذلك لتطمئن هارفي فقط فوجه بيتر جذاب للغاية، لكن لا يمكن مقارنته بوجه هذا الرجل. فشقيقها التوأم لا يملك الحضور القوي الذي يتمتّع به هذا الغريب.

أحنى الرجل رأسه القاتم وحيّا هارفي، ثمّ وجّه انتباهه إليها لبرهة. لاحظت كايتي أنّ هذا الوجه الجميل الصارم يخلو من أيّ أثر لوقاحة بيتر،

لكنه يخلو أيضاً من أيّ أثر للدفء. في الواقع، لاحظت وهو يقترب منها أنّه لا يشبه شقيقها التوأم على الإطلاق. فهذا الرجل بارد كالثلج.

والآن، بعد مرور سبع سنوات، تذكّرت تينك العينين اللامعتين بلون السماء عند منتصف الليل، المظللتين بأهداب سوداء، في وجه برونزي شديد الصرامة، فشعرت بارتجاف خفيف، وكأنّ تياراً كهربائياً تخلل في عمودها الفقري.

بدا رجلاً ملفتاً للنظر، يبلغ طوله ستة أقدام ونصف، وبنيته قوية وعضلاته مفتولة. كان يتحرّك بخفّة طبيعية وكأنّه رياضيّ من الدرجة الأولى. أما عيناه.. من يستطيع نسيان عينيه...؟ هي لم تنسهما قطّ. فلطالما ظهرتا في أحلامها المثيرة المربكة، وأقلقتا سباتها على مرّ السنوات.

ـ إنّه حيّ.

رفعت سايدي حاجبيها عندما سمعت صوت صديقتها الملفت.

ـ في الواقع، لم أرَ أحداً يبدو حياً لهذه الدرجة طوال حياتي.

كانت حيويته أشبه بتيّار كهربائي، فقد جعلتها لمسته الطفيفة تشعر بوخز في بشرتها. وقد سرّها أنّ هذا الاتصال لم يدم أكثر من الفترة الضرورية لإتمام مراسم الزواج.

ـ ظننت أنّك لا تذكرين شكله.

لاحظت سايدي النظرة البعيدة الحالمة على وجه الشابة.

ـ لا أذكره، إنّه شعور ليس إلا.

أجابت كايتي بسرعة. فعنادها يجعلها ترفض الاعتراف حتّى لنفسها، بتأثير العريس الذي اشترته عليها.

ـ إنها لصدفة أن يكون كلاكما يوناني.

تصلّبت شفتا كايتي الرقيقتان وامتلأت عيناها بالازدراء: «أنا نصف يونانية».

وكان هذا النصف ظاهراً في خطوط وجهها البيضاويّ ذي الجبهة العالية الفخورة، وفي الأنف الكلاسيكيّ المستقيم، والشفتين المنحوتتين بدقّة،

والعنق الرشيق. وهذا هو النصف الذي كانت مستعدّة دائماً لإنكاره. النصف الذي يذكّر بجدّها الذي نبذ بوحشيّة ابنته لأنها «أهانت» شرف العائلة الغالي.

لم تحاول والدة كايتي الاتّصال بعائلتها التي نبذتها يوم زفافها، حتى بعد أن توفي زوجها وتركها لتربّي وحدها ولدين صغيرين بالراتب المتواضع الذي كانت تتقاضاه من عملها.

وقد كبرت كايتي مع شقيقها التوأم، ولم يعرفا إلا القليل عن ثقافة والدتهما، ما ناسب كايتي جداً. فهي لا تملك وقتاً تكرّسه لأشخاص قادرين على معاقبة امرأة لوقوعها في حبّ شابّ لا ينتمي إلى طبقتها وثقافتها. لذا فهي تعتبر نفسها بريطانية بالكامل.

***

٢ ـ هذا لا يحدث

اضطرّت كايتي للتأخّر بسبب عمل طارىء، فاتّصلت بتوم واتّفقت معه على الذهاب مباشرة إلى الفندق حيث سيتناولان العشاء. أسرعت إلى المنزل وأطعمت هرّتها «ألكساندر»، ثم بدّلت ملابسها. عندما ترجّلت من سيارة الأجرة لم يبدُ عليها مطلقاً أنها لم تمضِ سوى لحظات في تجهيز نفسها.

عبرت كايتي الباحة بسرعة. لم تستطع أن تتجاهل الشعور المزعج بأنها نسيت شيئاً ما. دخلت الردهة ذات الإضاءة الساطعة، ومرّرت يدها في شعرها الذي غسلته للتوّ من دون أن تجففه كما يجب، فتساقط كالشلال وكاد يصل إلى خصرها. بدت الخصلات الكستنائية متوهّجة كخيوط الحرير العالي الجودة تحت الأضواء الساطعة.

كان توم بانتظارها. أشرق وجهه عندما رآها، فشعرت كايتي بالرضى لارتدائها الثوب الذي أعطتها إيّاه سايدي. فاجأها عناق توم القوي، فهو عادة متحفّظ في العلن. وقال لها بصوت أجشّ ما إن ابتعدت: «تبدين رائعة!».

حاولت إخفاء قلقها بمزاحها. هل من الطبيعي أن تفكّر الآن إن كانت قد فتحت الباب الخاص بالهرّة بينما خطيبها يعانقها بشغف؟ قالت له: «لا بدّ أنّه الفستان».

مع أنّه لم ينتقد أبداً ملابسها بصراحة، إلّا أنّ كايتي تعرف أنّه يفضّل أن تكون أكثر أناقة. فأجابها توم باللهجة ذاتها: «لم ألاحظ الفستان حتّى».

ـ حسناً، لا شيء يستحقّ الملاحظة، أليس كذلك؟

أجابته بذلك بينما ألقت نظرة متردّدة على الفستان الأسود الذي التصق بجسمها بطريقة مثيرة: «ألا تظنّ أنّه... فاضح بعض الشيء!».

جعل هذا القول توم يرفع رأسه ضاحكاً: «تبدين جميلة ونبيلة حتى لو حاولت العكس، وأنا أعتبر نفسي الرجل الأوفر حظّاً في العالم».

فقالت كايتي في سرّها: قد لا يعتبر نفسه كذلك عمّا قريب.

ثمّ أخذت نفساً عميقاً. لن تجد أبداً الوقت المناسب لإخباره، لذا فكّرت في أنّ اللحظة الحاضرة مناسبة كغيرها، فقالت له بإلحاح: «توم، لديّ ما أقوله لك».

ظهرت نظرة تدلّ على نفاد الصبر على ملامح خطيبها الصبيانية الجميلة. وقال لها: «ستتكلّم لاحقاً حبيبتي».

ثمّ أمسك ذراعها وأضاف: «لقد تأخرنا ونيكوس لا يحبّ أن ينتظر».

لم تتوقّع كايتي الاسم أبداً، فكان له وقع الصاعقة عليها، وكأنّه انتزع الهواء من رئتيها والأفكار من رأسها. لزمها ثوانٍ عديدة قبل أن تستعيد رباطة جأشها. قالت متلعثمة: «نيكوس؟.. هذا اسم غريب جدّاً».

ـ ليس في اليونان.

لا يمكن أن يكون القدر بهذه القسوة.

ـ أهو يوناني؟

فأومأ توم برأسه: «هذا صحيح. ارتدنا معاً جامعة «أوكسفورد»، مع أنّ نيك تخلّى عن الدراسة قبل أن يتخرّج».

ـ لا يبدو كشخص يمكنك أن تتباهى بمعرفته...

وابتلعت ريقها بصعوبة. لم تشعر بالارتياح للقاء هذا الشخص... قالت لنفسها بقسوة: توقّفي عن ذلك، أنت شديدة الارتياب.

ـ تعنين أنّني عجوز مملّ.

فاعترضت كايتي كابتة بعض الغضب: «لست عجوزاً...».

ثمّ أضافت: «ولا مملاً. أنت بالأحرى صلب ومسؤول».

أجاب توم، وقد تلاشى سحره فجأة: «يجعلني كلامك أشعر بحال

أفضل بكثير».

أدركت كايتي أنّها أذت مشاعره. حاولت أن تسترضي كبرياءه المجروحة، فقالت له باقتناع: «لا ترغب النساء عادةً في الزواج من رجال مثيرين إذ أنهم ليسوا جديرين بالثقة أبداً».

توقّفت عن الكلام مدركةً أنّها تزيد الأمور سوءاً ليس إلا. ولكم شعرت بالراحة عندما استعاد توم روحه المرحة وضحك عالياً، فهو يظنّ أنّها تبدو رائعة بشكل خاص عندما ترتبك وتتورّد وجنتاها خجلاً.

ـ إلّا إذا ما رغبن بعلاقة حبّ جنونية.

ـ بعض النساء قد يرغبن بذلك، ولكن ليس أنا.

أصرّت كايتي على إجابتها بحزم، ثمّ أضافت باستهزاء: «فهولاء الرجال سخيفون وسطحيون، ولا يهتمّون سوى بمظهرهم».

فأجفل توم: «لن تقولي رأيك هذا لنيكوس، أليس كذلك حبيبتي؟».

ـ سأوافق على كل آرائه إذا أردت ذلك.

وعدت كايتي بذلك، وهي تنوي أن تمدح صديقه إن كان هذا سيسعد توم.

ـ ستحبّينه.

لم تستطع كايتي إخفاء تشاؤمها.

أكّد لها توم: «عادةً تحبّه النساء».

ثم أضاف: «حسناً، أنت محقّة. لم يكن نيك ضمن دائرة أصدقائي. في الواقع، كان منعزلاً نوعاً ما. اعتاد ركوب تلك الدراجة النارية الكبيرة الوسخة...».

أومأت كايتي برأسها. بدأت تكوّن صورة عن صديقه، ولم تجدها مريحة. شخص متهوّر، يحبّ المخاطرة... لم يجد خيالها أيّ مشكلة في تصوّر نيكوس في بزّة جلديّة خاصة بركوب الدراجة النارية.

ـ انحرف ذات مرّة عن الطريق ليتجنّب ولداً، ثمّ وقع أرضاً. كنت في الجوار فساعدته. لم أفعل الكثير، لكنّه اقتنع بأنّي أنقذت حياته.

استمعت كايتي إلى إعلانه المتواضع بابتسامة حنونة: «ما يعني أنّك على الأرجح فعلت ذلك».

ـ فعلت فقط ما قد يفعله أيّ شخص آخر.

أصرّ توم على الأمر بلا مبالاة واستنكار، ثم أضاف: «بصراحة، لم أعتقد أنه سيبقى على اتّصال بي بعد رحيله. يبدو أنّ تخلّيه عن الدراسة سبّب شجاراً عائلياً عنيفاً، ولكن الأمور تغيّرت الآن. أصيب والده بنوبة قلبيّة، فاستلم نيك مؤسّسة العائلة... تعمل عائلته اليونانية في قطاع الشحن البحري، ومنذ سنوات توسّعوا بعملهم بشكل مفاجيء... إنهم يملكون المليارات...».

أضاف وهو يراقب وجهها الشاحب بقلق: «هل أنت بخير؟».

أخذت كايتي نفساً عميقاً ثمّ نظرت إلى وجهه القلق. ابن ملياردير يوناني! شعرت برغبة في الضحك من مخاوفها غير المنطقية.

رفعت يدها قليلاً إلى جبينها وشعرت بطبقة رقيقة من العرق على بشرتها: «أجل. أنا بخير، يبدو أنه دوار بسيط، لم يكن لديّ الكثير من الوقت لتناول وجبة الغداء اليوم».

اعترفت بهذا، وتعهّدت في سرّها بإخبار توم الحقيقة قبل انتهاء السهرة.

عقد توم حاجبيه باستياء: «إنهم يستغلّونك كثيراً في ذلك المكان».

ضغط على كتفها وأضاف: «لا بأس، لن يطول بك الأمر حتى تتمكّني من تقديم استقالتك».

ـ تقديم استقالتي؟

كررت كايتي كلماته مذهولة فضحك توم وقال: «ستكونين مشغولة للغاية عندما تصبحين زوجتي بحيث لن تتمكّني من العمل. بالطبع، إن كنت ترغبين بممارسة القليل من الأعمال الخيرية...».

لم تستطع كايتي تصديق ما تسمع... توم يتوقّع منها أن تترك عملها عندما يتزوّجان! لا مجال لذلك!

ـ عاد اللون قليلاً إلى خدّيك الآن.

لاحظ توم ذلك، غير مدرك لحسن الحظ أنّ سبب عودة اللون الوردي الخفيف إلى بشرتها العسلية الباهتة، هو رفضها للفكرة التي تفوه بها للتو.

ـ هيا بنا يا حبيبتي، من الأفضل أن تأكلي الآن.

ـ وصديقك لا يحبّ أن ينتظر.

لم تستطع كايتي منع نفسها من إضافة ذلك بلهجة جافة. ثمّ أكملت في سرّها: صديقه الذي يدعى نيكوس.

كم كانت غبيّة لخوفها من اسم. فهناك في العالم مئات الرجال الذين يدعون نيكوس. قالت كايتي ذلك لنفسها بينما تبعت توم إلى غرفة الطعام، حيث أضاف ذلك الصوت الداخلي غير مصدّق: لا يمكن لهذا أن يحدث!

ـ ها هي يا نيكوس.

غفل توم عن حالة الجمود التي مرّت بها المرأة الشابة، ودفعها إلى الأمام بفخر فاستجابت بتصلّب كالدمية. وأضاف: «هذه كايتي. ألم أقل لك إنّها رائعة للغاية وذكيّة أيضاً؟ هيا حبيبتي لا تكوني خجولة...».

خجولة؟ إنّها بالأحرى مشلولة بفعل الصدمة والرعب! يا إلهي، يبدو أنّها لن تنسى هذا العشاء بسهولة!

تمنّت كايتي لو تنشقّ الأرض عند قدميها، لتقفز في الهوّة السوداء، على أن تعيش تلك اللحظة. حتى في أفضل الأوقات، تكره أن يقدّمها توم لأصدقائه متفاخراً بها كما فعل.

كان الرجل يرتدي بذلة قاتمة اللون. بدا وجهه المستطيل زهري اللون حين وقف برشاقة كسولة شبه وحشيّة وأجاب: «قلت ذلك بالفعل يا توم».

تبخّرت كلّ الشكوك. لم تسمع كايتي هذا الصوت العميق المثقف منذ سبع سنوات، لكنّه لا يزال كما تذكره تماماً. فهذه اللهجة اللاذعة ذات اللكنة البسيطة جعلت القشعريرة تسري في عروقها.

ـ أخبرني توم الكثير عنك، ممّا جعلني أشعر أنّنا نعرف بعضنا.

لم يلاحظ توم اللهجة الشّريرة التهكّمية في كلماته اللطيفة، لكن كايتي

لاحظتها ورأت النفور البارد في عينيه المميّزتين، وهما تطوفان على جسمها.

أصابها الذهول لهول الصدمة. وكادت تبدي الإعجاب ببرودة أعصابه، لأن أعصابها أوشكت أن تنهار.

تشابكت نظراتهما. لم يظهر على ملامحه أي تعبير، ولكن عندما التقت عيونهما للحظة، شعرت كايتي أنّه يستمتع بكلّ ثانية من خيبتها. فدفعها هذا الاكتشاف إلى التماسك.

رحّبت كايتي بومضة الغضب المشجّعة التي ساورتها، فقد شكّلت طوق نجاة قوي تتمسّك به. بدت عاجزة عن تفسير السرور الماكر الذي رأته في عينيه القاتمتين اللتين يصعب سبر غورهما. شراء زوج قد يجعلها تستحقّ السخرية والضحكة المكبوتة في نظر بعض الأشخاص التقليديين. ولكن إن كانت قد اشترته، فهو باع نفسه، وهذا لا يجعل وضعه أفضل من وضعها... فلمَ يبدو معتداً بنفسه إلى هذا الحد؟

أيكون هذا الاعتداد بالنفس والفخر بسبب المليارات التي يملكها؟ وأنا من أعطيته المال... عندما يبدأ عقلها بالعمل مجدّداً، قد تتمكّن من فهم هذه النقطة. ولكن حالياً، عليها أن تكبت دفقاً من الضحك الهستيري، فالوضع يتخطّى حدود المنطق.

ـ كايتي، عزيزتي، أقدّم لك نيكوس لايكس.

على غرار توم، كان نيكوس يرتدي بذلة رمادية قاتمة. ولكن البذلة لم تكن مفصّلة لإخفاء الوزن الزائد، كما هي حال توم. يصعب تخيّل هذا الرجل مسرفاً في تناول الطعام إلى حدٍ يسبب له زيادة في الوزن عند الخصر... فهو يبدو قاسياً، تحيط به هالة تقول «أنا المسيطر». لم تلتق كايتي بالكثير من الرجال من هذا النوع، لكنها لم تحب الذين التقتهم، فهم يظنّون أنّهم محور الكون.

وعادت بها أفكارها إلى غرفة الانتظار الصغيرة المملة لمكتب الزواج. تذكّرت الشخص الطويل القامة الذي بدا أصغر سنّاً ممّا توقّعت. دخل فارضاً حضوره المثير للأعصاب، وقد غاب عنه كلّ تواضع كانت تتوقعه من

رجل بلغ به اليأس حدّ الزواج من أجل المال. فهمت الآن سبب غروره فقد ولد في عائلة ثرية للغاية، ولكن ما لم تفهمه هو سبب اضطرار ابن الملياردير للزواج من أجل المال. قالت في نفسها: يا إلهي! كنت متزوّجة من مليو... لا، بل ملياردير يوناني مدة سبع سنوات ولم أعرف بالأمر حتى؟

أعادت كايتي النظر في رأيها عن قدرة الرجل على السيطرة على نفسه، ما إن تحوّلت عيناها الواسعتان المصدومتان إلى شفتيه المكتنزتين... شعرت بارتعاش خفيف. حاولت السيطرة على مخيّلتها المتمرّدة عندما ابتسم كابوسها، ولم يساعدها هذا الأمر مطلقاً. أطلقت ابتسامته تهديداً مثيراً يتناسب تماماً مع تخيّلاتها المجنونة. على مرّ السنوات، أقنعت نفسها بأن مخيّلتها بالغت بتقدير الإثارة التي يتمتع بها نيكوس لايكس.. ولكنّها الآن تعرف عكس ذلك! فجاذبية الرجل تكاد تكون بلا حدود.

ارتسمت على شفتيّ كايتي المطيعتين ابتسامة اجتماعية ملائمة، ولكنّ عينيها استمرتا تعكسان الرعب والحيرة والارتباك.

كان توم غافلاً لحسن الحظ عن التوتّر والنفور اللذين ظهرا جلياً عليها، فدفعها إلى الأمام بفخر.

ـ سررت بلقائك كاترين.

التوى حاجبه القاتم وأضاف: «الاسم هو كاترين...؟».

حملقت فيه بغضب... فهو يعرف تمام المعرفة أنّ اسمها ليس كذلك. فهو يملك، مثلها، نسخة عن شهادة الزواج التي احتفظ بها هارفي.... هارفي! لا بدّ أنّ صديق العائلة الوفي عرف هويته ولم يخبرها... فكرت كايتي في أنّ ازدواجية الرجال مربكة حقاً.

ـ لا، في الواقع اسمي كاترينا.

وأضافت، وقد جعل الرعب والنفور صوتها الناعم صارماً وجارحاً: «ولكن لا أحد يدعوني بهذا الاسم».

ـ هذا مؤسف، فهو اسم جميل.

قال ذلك بطريقة شاعرية... إن كان لهذا الكلام المخملي لون،

فسيكون أرجوانياً قاتماً.

هزّت رأسها قليلاً، وقد أغضبتها أفكارها. أرجوانياً كان أم أحمر، صوت كهذا يوحي بقدرة خطيرة جداً، خاصة إن كان صاحبه على هذا الشكل.

إن كان مصدوماً مثلها لاكتشافه هوية رفيقته على العشاء، فهو يخفي الأمر جيداً. هل يعني ذلك أنّه كان يعرف؟ أو ربما لم يعرفها؟ وأبعدت هذا الاحتمال على الفور. هل هو هنا لأنّ هارفي اتّصل به بشأن الطلاق؟ أم أنّ هذه صدفة رهيبة مروّعة؟

ضجّ في رأسها الكثير من الأسئلة، لكنها لم تحصل على أيّ إجابات. فشعرت وكأنها مصابة بالدوار.

يا إلهي! لَمَ لم أخبر توم عندما سنحت لي الفرصة...؟ تأوّهت في سرّها. فات الأوان الآن... سيكرهها. ومن يستطيع لومه؟ كلّ هذا يحدث لأنّها أخفت الأمر عنه. بدا الوضع وكأنه عقاب، وقد جاءت عقوبتها على شكل رجل يملك السحر الخطير لملاك أسود.

ضغطت شفتيها لمنعهما من الارتجاف، ورمقت الوجه المستطيل القاتم بنظرة مبطّنة من تحت أهدابها الطويلة. ما رأته في وجهه النحيل لم يكن مريحاً، وقالت في سرّها: أرجوك يا إلهي، لا تدعه يقول شيئاً قبل أن تسنح لي الفرصة لإخبار توم بنفسي.

هذا هو الحل! أن تشرح لتوم بنفسها... وولد في أعماقها أمل مفاجىء. إن تمكّنت من الانفراد بهذا المخلوق الذي يدعى نيكوس وإيضاح الأمور له، ربّما تستطيع التماس سكوته المؤقّت إلى أن تحظى بفرصة. تصادمت عيونهما، وكان ذلك كافياً ليجعلها تنسى أمر التماس طيبته. وكبتت ارتجافها... لا يمكن لشخص يملك مثل هاتين العينين أن يكون طيّباً!

من بين كلّ رجال العالم، لما انتهى بها الأمر متزوّجة من هذا الشخص؟

إذا ما تكتّم نيكوس لايكس حول زواجهما، فسيكون ذلك لأسباب

خاصة به، وليس مراعاة لها أو لتوم. افترضت أنّ الاعتراف بأنّه تزوّج من أجل المال لا يتناسب مع صورته الذكورية، مع أنّ اليونانيين واقعيون في مثل هذه الأمور. صرّت على أسنانها مدركة أنه لن يلتزم الصمت إلا لأسبابه الخاصة.

لم تعرف كايتي كيف تمكّنت ركبتاها المرتجفتان من حملها بينما أطبقت قبضة جامدة على يدها. تقلّصت عضلات جسمها بقوة عندما التفّت أصابعه الطويلة على أصابعها. التناقض بين الصغير والكبير، القاتم والشاحب... فقد عقلها مرّة أخرى قدرته على التركيز: هل عليها لكمه وإخبار توم الحقيقة، الآن؟

وتساءلت كيف ستفعل ذلك...؟ هل تقول له: في الواقع يا توم، التقيت بنيكوس من قبل... نعم، أليست هذه صدفة؟ لا أعرفه حقّ المعرفة، نحن متزوّجان ليس إلا...

كان الرجلان يتكلّمان، لكنّ كلماتهما لم تكن إلا طنيناً متنافراً في أذنيها. وجدت نفسها جالسة في مقعد، لكنّها لا تذكر أنّها جلست، كما لا تذكر كيف وصلت الكأس إلى يدها. أبعدت شعرها إلى الوراء واكتشفت أنّ الرجلين ينظران إليها.

كانت عينا توم ترمقانها بنظرات غاضبة متوعّدة. بدا يائساً، فهو يريدها أن تترك انطباعاً جيداً على هذا الرجل الذي يقدّره.

صدمتها سخرية الوضع بقوّة، وحاولت جاهدة أن تسيطر على موجة الهستيريا التي اجتاحت حلقها الجاف، فنوبة الضحك بجنون ستجذب إليها اهتماماً غير مرغوب فيه...

ـ واجهت كايتي يوماً عصيباً في العمل.

علا حاجب كايتي الرقيق... مجدّداً هذه الرغبة الجامحة في إرضاء الغير في تصرّف توم. ربّما لم يكن الأمر مفاجئاً تماماً، فشيئان فقط يبهرانه: المال والسلطة. وهذا الرجل يملك الاثنين معاً. كان توم يملك المال والسلطة، ولكن ما لا يملكه هو تلك الثقة البالغة بالنفس التي يتحلّى بها اليوناني

الطويل القامة.

ـ أنت تعملين كاترينا؟

قطّب نيكوس لايكس حاجبيه القاتمين المقوّسين بينما ظهرت نبرة الاستغراب في سؤاله العرضي. تقلّصت عينا كايتي ما إن رأت في تينك العينين السوداوين اهتماماً زائفاً. بدا لها أنّ الكراهية التي شعرت بها نحوه متبادلة.

ـ أعمل عندما لا يتعارض ذلك مع التسوّق أو طلي أظافري.

لم يكن توم قد سمع من قبل هذه النبرة في صوتها الناعم الجميل، فضحك بانزعاج كما لو أنّها أخبرت نكتة لم يفهمها تماماً. ولكنّ نيكوس لم يضحك، وتابعت عيناه القاسيتان تفحّص وجهها الغاضب. وفجأة التفّت أصابعه الطويلة على يدها اليسرى لتثبّتها بإحكام على الطاولة. وأدار يدها مظهراً أظافرها القصيرة الخالية من أيّ طلاء. فتوتّرت أعصابها من جديد.

في تلك اللحظة تمنّت كايتي أن تختفي، أما هو فقال بهدوء: «ليس اليوم».

كان لصوته الناعم تأثير مزعج عليها، كلمسته الخفيفة. وسحبت يدها من قبضته. راحت تتنفّس بصعوبة، ثم رفعت رأسها بتعالٍ وقالت: «أنا منسّقة اجتماعات».

ومنسّقة جيّدة جدّاً أيضاً. شعرت برغبة في إضافة ذلك للأحمق المعتدّ بنفسه.

لم يبدُ متأثّراً أبداً لكنه تشدّق قائلاً: «مؤثّر».

ثمّ أضاف كما لو أنّ عملها لا يمكن أن يكون مهماً: «وماذا تفعل منسّقة اجتماعات بالضبط؟».

شعر توم بتوتّر الجو للمرّة الأولى، فبدا منزعجاً قليلاً: «تعمل كايتي في مؤسسة خيرية. لكنّها ستقدّم استقالتها بعد الزواج».

ـ الزواج... نعم... ومتى سيتمّ؟

ـ لا أستطيع حمل كايتي على تحديد الموعد بعد.

نقل نيكوس نظرته الكسولة إلى كايتي قائلاً: «حقاً! أنت تفاجئينني».

ذكّرها تصرّفه بهرّ أملس الشعر يلعب مع فأرة، ليس لأنه جائع، بل لأنّ القسوة تسري في عروقه. كلّما ازدادت معرفتها بهذا الرجل كلما كرهته أكثر. اتّسع أنف كايتي بينما رسمت على شفتيها ابتسامة باهتة.

فكّرت بتجهّم أنّ بإمكانها الاشتراك في هذه اللعبة فالمماطلة سترضي غروره لكنها لن تنفعها.

هذه الاستراتيجية الخطيرة جعلت كايتي تتصرف باستهتار، مع أنّها في العادة لا تفعل ذلك. فبهذه الطريقة، ستعرف نيّته. وسألت بلطف: «وأنت يا سيّد لايكس... هل لديك سيدة لايكس؟ أو أيّ أولاد لايكس صغار؟».

حبست كايتي أنفاسها، وبدا لها أن الصمت الذي تلا سؤالها دام للأبد. عندما رفعت نظرها، دهشت لرؤية ما قد يكون إعجاباً في عيني نيكوس لايكس القاتمتين اللامعتين: «هناك سيدة لايكس واحدة فقط في عائلتي، هي زوجة أبي، وهي قوة ناشطة في حياتي».

ابتسم، ولم تكن ابتسامته زائفة، متكبّرة، أو مشمئزة... بل على العكس تماماً. فغرت كايتي فاها وهي تراقب القسمات القاسية لوجهه المصقول تلين، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة حقيقية صادقة وطيبة.

كان التغيير ساحقاً، وبالكاد منعت كايتي نفسها من الابتسام بحماقة. وأصرّت بعناد: «إذاً أنت لست متزوّجاً؟».

فضحك توم وأجاب: «لو تزوّج نيك لقرأنا الخبر في الصحف ولواجهت وسائل الإعلام نهاراً حافلاً».

فكّرت كايتي في سرّها: أنت لا تعرف شيئاً. وشعرت بموجة من الذنب تجتاحها بالكامل، فضغطت بيدها على خدّها المتوهّج.

شعرت بالاشمئزاز من نفسها. فرغبتها في تسجيل النقاط ضدّ نيكوس لايكس أنستها ما هو أهم. قد يكون الإذلال العلني وفضيحة اكتشاف الزواج السري لخطيبته ونيكوس لايكس مدمّرين بالنسبة إلى توم.

ـ لا مفرّ من الزواج لإنجاب... ماذا أسميتهم؟... أولاد لايكس

صغار. نحن اليونانيون تقليديون في مثل هذه الأمور.

ـ كنت لأقول باردين.

بدا توم منزعجاً بحقّ عندما وضع يداً دافئة على كتفها. أجفلت كايتي من جراء ضغط يده فيما تابعت عينا نيكوس حركة الرجل الآخر، فازداد تجهّماً.

سأل توم، ويده تربّت على ذراعها: «هل نطلب الطعام؟».

ـ لست جائعة.

شعرت كايتي بأنها لن تتمكّن من تناول أيّ شيء حتى لو كانت حياتها تعتمد على ذلك. فالوضع خيالي بقدر ما هو حقيقي... مستقبلها هي وتوم يعتمد على تكتّم رجل بدا مزاجياً بقدر ما كان مستبدّاً!

ـ اليونانيون ليسوا معروفين ببرودة دمهم يا كاترينا.

ـ عفواً، هل هذه كبرياؤك التي دست عليها؟ ولكنني متأكّدة من أنهم عشاق رائعون.

اتّسعت ابتسامتها قبل أن تتحوّل إلى ابتسامة رضى شرسة: «اعذرني إن فكّرت في أنّ اختيار فتاة مسكينة مناسبة للحمل و«الإنتاج» وريث ينمّ عن برودة قصوى».

ـ كايتي!

ارتسمت على شفتي نيكوس المثيرتين ابتسامة جامدة، ورفع يده بحركة مهدّئة لمنع توم من التعبير عن احتجاجه ثم تشدّق قائلاً: «سوف تتزوّج امرأة رومنسية يا صديقي. امرأة تعتبر الزواج المدبّر محرّماً».

ثم تفحّص وجهها بعينين ساخرتين: «هل أنا محقّ يا كاترينا؟ لن تتزوّجي لأيّ سبب كان غير الحبّ؟ وبالتأكيد ليس لسبب منحطّ جداً... كالشعور بالأمان؟».

لمست سبابته الطويلة الماسة في إصبعها. كانت سخريته حارقة ما جعل الابتسامة المتكلّفة تختفي من على شفتيها، وقالت له بجفاء: «في العالم المثالي، يتزوج الجميع بدافع الحب».

زمّ نيكوس شفتيه بازدراء: «أنت إذاً عمليّة في النهاية، وهذا بالتأكيد أفضل من النفاق».

ولّدت كلماته الناعمة موجة غضب عنيفة داخل كايتي محت كلّ أثر للخوف. لقد زادت سخريته عن حدّها. رفعت عينيها اللامعتين الغاضبتين إلى وجهه النحيل القاتم... كيف يسمح لنفسه بالنظر إليها من فوق؟

قد يكون شراء زوج أمراً مثيراً للشفقة، ولكن كان لديها سبب قويّ للقيام بذلك. فما حجّته هو؟ بدا أنّ الحجة الأقوى هي حاجته الملحّة إلى المال لمتابعة أسلوب حياته المترف وفكّرت كايتي باحتقار: إن كان من أحد منافق هنا فليس أنا.

بدأ توم يشعر بأنّ شيئاً ما يفوته في هذا الحوار، لكنه شعر بالارتياح عند ذكر أمر أحسّ أنّه خبير فيه، فقال: «في الواقع، كايتي عمليّة جدّاً».

آلمتها كثيراً رؤية توم مسروراً لا يشكّ في شيء. فبالرغم من ذكائه، لم يستطع رؤية ما يجري أمام عينيه لأن الأمر يتعلق بنيكوس لايكس. لعل وهج ثروته جعل توم أعمى. بالنسبة إليها، كان الرجل بغيضاً إلى أقصى حد!

وفكرت كايتي بتجهّم: لا بدّ أنّه خبير أيضاً في العلاقات مع النساء الجميلات أوَ ليس هذا ما يمضي المستهترون وقتهم في فعله؟ وتكمن السخرية في أنّها على الأرجح موّلت بعض هذه العلاقات.

تصلّب فكّها بحزم. كان بينهما اتّفاق وقد حصل على ماله مقابل جهد قليل. أمّا الآن وقد نظّمت حياتها كما تريد، فلن تتركه يقضي عليها بتهديداته الصامتة. ستقول له ذلك ما إن تسنح لها الفرصة.

كان العشاء تعذيباً لها. أطلق نيكوس ملاحظات كثيرة جعلت كايتي تخشى أن يلاحظ توم الموضوع. واحتاجت لكلّ طاقتها لئلا تظهر أيّ ردّ فعل. شعرت بالارتياح عندما رن هاتف توم، فاعتذر لكي يتلقّى الاتصال، وتكلّم لعدّة دقائق مع شخص ما. بدا جلياً من تجهّمه أنّ الأخبار التي سمعها سيّئة. قال للمتّصل: «سأصل بعد ثلاثين دقيقة تقريباً».

ثمّ أضاف قبل أن يعيد الهاتف إلى جيبه: «أنا آسف فعلاً أيّها الصديقان».

انتقلت نظرته المعتذرة من كايتي إلى نيكوس، وتابع يقول: «عليّ الذهاب، فالمشروع الذي أعمل عليه لم يجلب إلا المتاعب منذ البداية. يبدو أنّ المدافعين عن البيئة سبقونا إلى الموقع».

علا التجهّم وجهه وهو يقف: «هل تصدّقان ذلك؟ كلّ هذا بسبب قطعة أرض فيها مستنقعات وشجيرات بريّة. والآن يتكلّمون عن طحلب بحري نادر... تصوّروا طحلب بحري!».

التزمت كايتي الصمت بتهذيب، إذ أنّها تتعاطف قليلاً مع المؤسسات والسكان المحليين الذين رفضوا هذا المشروع. احتجّ توم بعبوس: «بعض الأشخاص لا يتحمّلون التطور».

فأجاب نيكوس: «المستقبل عملة صعبة يا صديقي».

أشارت ضحكة توم إلى أنّه يعتبر ملاحظة صديقه نكتة. ولكن كايتي لم تجدها كذلك، وهمّت بالنهوض من مقعدها.

فأومأ إليها توم بالجلوس: «لا عزيزتي، أنهي طعامك... لا داعي لأن تزعجا نفسيكما، سيرافقك نيك إلى المنزل؟».

نظر مستفهماً إلى الرجل الآخر الذي أجاب بنعومة كالحرير: «من دواعي سروري».

تقلصت معدة كايتي بقوة، لكنها تمكّنت من السيطرة على نفسها لئلا ترضيه وتدعه يرى رعبها. فقال توم: «شكراً يا صديقي. تمتّعا بالعشاء».

قالت له بسرعة: «ربّما يمكنني المساعدة. فأنا أعرف والدة مارك روجرز».

تذمّر توم عند ذكر قائد المعارضة المحلّية لمشروعه. وقال وقد بدا عليه نفاد الصبر: «هذه أعمال. ولا يمكنك استخدام المنطق مع مثير للشغب مثله... فهم يرون في المنطق ضعف. سأتّصل بك في الصباح».

أحست كايتي بالانزعاج لكنها لا تستطيع فعل شيء بهذا الخصوص.

راقبت رحيل توم، ورغب جزء منها في مواجهته، أرادت أن تسأله: لماذا تتصرف وكأنّك قادم من حقبة ما قبل التاريخ؟ لماذا تعاملني وكأنني أداة للزينة لا عقل لها؟.

تنهّدت عندما وصل إلى الباب وعادت إلى الطاولة، فاكتشفت أنّ نيكوس لايكس يراقبها.

***

٣ ـ عدو أم صديق؟

قالت له بحدّة وغضب: «إلامَ تنظر؟».

رمقها نيكوس بنظرة ملؤها التفهّم: «أنظر إلى القوى المحرّكة لعلاقة حبّ».

لم ترضها الإجابة، فهي لا تريد أن تقوم هاتان العينان الباردتان الذكيّتان بتشريح علاقتها مع توم.

حوّلت كايتي انتباهها إلى الطعام في طبقها. مع أنّه كان من الصعب عليها التظاهر بالاهتمام بالوجبة المعدّة بعناية.

تأمّل نيكوس رأسها المنحني من فوق حافّة كأسه: «سيتّصل بك... إذاً لم تنتقلا للعيش معاً...؟».

ـ لا، لم نفعل.

فتشدّق بإعجاب: «داهية وجميلة! لا بدّ أنّك كذلك لتجعلي أعزب متشدّداً كتوم يطلب يدك للزواج».

طعنت كايتي بشوكتها وبوحشيّة لا مبرر لها قطعة بطاطا بالزبدة، فشكّلت هذه بديلاً ضعيفاً لما ترغب بشدّة في طعنه.

قال بصوت عالٍ ومرح: «نادراً ما تتوافق أحلام الرجل مع رؤية المرأة التي يحبّ ما إن يصحو في الصباح».

فأجابته كايتي: «وكأنّ شخصاً مثلك يعرف الكثير عن الأحلام الرومنسية!».

لم يتأثّر نيكوس بقولها: «لم أكن أتكلّم عن نفسي. أنت محقّة، لستُ

www.elromancia.com

رومنسياً. لا أتوقّع الكمال في المرأة ولا أرغب فيه. كنت في السابعة عشرة من عمري عندما صدّقت للمرة الأخيرة إمكانية إيجاد امرأة كاملة الأوصاف. ولكنّ توم من جهة أخرى...».

وارتفع حاجباه. فتوقفت كايتي عن تأمّل طعامها ثم رفعت رأسها، وأجابت بانزعاج: «توم لا يعتبرني كاملة الأوصاف! هذا القول مقرف للغاية!».

ارتفعت كتفاه العريضتان: «مقرف...؟».

وارتعشت شفته العليا باستهزاء، ثم أضاف: «ظننت أنّ الحلم الأغلى لدى المرأة هو أن يبجّلها الرجل».

ـ الحبّ هو الحلم الأغلى لدى غالبيّة النساء.

وأضافت في سرّها: يا إلهي! أبدو كمراهقة لامعة العينين..

رفعت رأسها بإصرار. لماذا تخجل من شيء تؤمن به؟ لن تدع سخريته منها تشعرها بالخجل. فلا يمكن أن تتوقّع من رجل مثله أن يميّز بين حبّ شخص لما هو عليه وحبّ شخص لما نريده أن يكون.

التقت عيونهما. بدت عيناها متحدّيتين، بينما عيناه... ابتلعت كايتي ريقها. لعل نيكوس يتفهّم أكثر ممّا تظنّ. شعرت بالانزعاج لذلك التغيير الفوري في تعبيره بعد سماع اعتراضها.

ومن دون أن يتفوّه بكلمة، جعلها تشعر بأنّها أصدرت للتوّ تعليقاً فاضحاً. فصرت على أسنانها قائلة: «توم يحبّني. ولا يأبه كيف أبدو في الصباح».

ثمّ أضافت: «أظنّ أنّك تبدو رائعاً بعد سهرة طويلة».

ما إن تفوّهت كايتي بهذه الكلمات حتّى شعرت بالندم، فقد كان الأمر بمثابة إطلاق العنان لمخيّلتها. اندفعت إلى ذهنها الجامح صور غير مرحّب فيها لشعر أشعث قاتم، وعينين مثيرتين يملؤهما النعاس. تنشّقت الهواء من أنفها الواسع، ثمّ أخرجته بقوّة من بين شفتيها المفتوحتين.

راقب نيكوس شارداً وجنتيها الناعمتين المتورّدتين واعترف بهدوء: «في

الواقع، لم تصلني أيّ شكاوى بعد».

فازدادت وجنتاها احمراراً، وقالت بازدراء: «لا أستغرب أن تقدّم بعض النساء التنازلات لاصطياد رجل غنيّ».

ـ أحيّي خبرتك العالية في مواضيع كهذه.

بدت ملاحظته وكأنها إتهام واضح بأنها امرأة استغلالية فوقعت شوكة كايتي من يدها، وقالت: «ما كنت لأعانق رجلاً قبل أن ينظّف أسنانه في الصباح مقابل أيّ مبلغ من المال!».

قالت ذلك بصوت مرتفع جذب انتباه العديد من الجالسين بقربهما. وشعرت للمرّة الأولى أنّ إجابتها حيّرت نيكوس، فانزلقت نظرته إلى صدرها المكتنز قبل أن تعود إلى وجهها الغاضب: «إن كنت تعنين حقّاً ما تقولين، فأنت لم تتعرفي بعد إلى الرجل المناسب».

لم تستطع كايتي تحويل انتباهها عنه، راحت تراقب الجفنين المتثاقلين ينخفضان ليخفيا النظرة القاتمة اللامعة التي تشعّ من عينيه الغريبتين الساخرتين.

وضع مرفقيه على الطاولة وانحنى نحوها فخيّل لكايتي أنّ قربه منها قطعهما عن بقية الموجودين في القاعة. أثار أحاسيسها العطر الذكوري المحيّر، وشذا المسك المنبعث من بشرته الدافئة.

ـ هناك لذّة خاصة لن تشعري بها إلا إذا وجدت الشخص المناسب...

كان صوته الساحر ينخفض مع كلّ حرف، إلى أن أصبح همساً أبحّ. فبعث رعشات صغيرة في عروقها. انتزعت عينيها عن عيني معذبها القاتمتين. لا يمكن أن تدّعي أنّ شيئاً لم يحدث... أو أنّ نيكوس لايكس لم ينجح في تحويلها إلى كتلة غبيّة من الشوق. لكن ذلك حصل فعلاً.

فقالت له بعناد: «أفضّل تنظيف أسناني قبل القيام بأيّ شيء».

بدا نيكوس للحظة مرتبكاً من إجابتها ثمّ غزت وجهه ابتسامة بطيئة، وراح يضحك ملقياً برأسه إلى الوراء.

ـ وأنت يا كاترينا...

ـ أنا...؟

صرّت أسنانها بينما رفعت يدها لتخفي تورّد وجنتيها. هي تعتبر الثرثرة بحدّ ذاتها غباءً. فما بالك إذا كان محورها نيكوس لايكس؟

ـ هل أنا مخطىء في ظنّي أنّك تشعرين بشيء من التعاطف مع تلك الأزهار التي سيكسوها توم بالإسمنت؟

أسند ظهره إلى المقعد وأعاد كأس العصير إلى الطاولة.

لم تستطع كايتي محاكاة سرعة بديهته، فالتغيير المفاجىء للمواضيع صعّد الارتباك الذهنيّ لديها.

ـ ماذا؟

طرحت هذا السؤال لتحاول كسب الوقت. وشعرت أن الإفصاح عن رأيها في هذا الموضوع لأيّ كان، ينمّ عن خيانة لا توصف، فكم بالأحرى لهذا الرجل بالذات؟

ـ أنا أدعم توم كلياً.

ـ حتى عندما تظنّين أنّه مخطىء؟ كم أنت وفيّة.

ـ لن يقدم توم أبداً على أيّ عمل غير شرعيّ.

ـ من الناحية القانونية، أنا متأكّد من أنّه لن يقدم على أيّ عمل خاطىء.

تبخّرت من رأسها منذ وقت طويل كلّ نية في مواجهة نيكوس وتذكيره بالتزام قسمه في الاتّفاق. أحسّت كايتي أنّها ستنفجر إن أمضت دقيقة أخرى في صحبة هذا الرجل البغيض!

ـ كيف تجرؤ؟ لن أجلس هنا وأناقش مبادىء خطيبي مع شخص مثلك.

قالت ذلك بصوت مرتجف ونهضت من كرسيها. أدّت حركتها العنيفة والأنيقة في آن إلى جعل قماش فستانها الناعم يهمس برقّة على كاحليها الجميلين.

ـ لستِ امرأة بدينة إذاً؟

أبدى نيكوس هذه الملاحظة الكسولة المستهزئة وهو ينظر إلى ظهرها النحيل. أمضى اللحظات القليلة التالية يراقب الخطّ الأنيق لعمودها الفقري، إلى أن اختفت عن نظره. كان المشهد جميلاً، إلا أنّه زرع تقطيبة كئيبة على وجهه.

شعرت كلّ خلية من جسمها بوجوده بالقرب منها، ولكنّ كايتي رفضت بعناد الاعتراف بتأثير هذا الرجل الذي يقف بإصرار إلى جانبها في البهو. لم تشعر أبداً من قبل أنّ شكلها منافٍ للذوق، إلى أن وقفت إلى جانب شخص يميل الجميع إلى الحملقة فيه. لكن بدا أنّ نيكوس يجهل فعلاً الاهتمام الكبير الذي يثيره.

تمكّنت كايتي من تجاهل وجوده إلى أن عاد الموظّف بزيّه الأنيق وقدّم أشدّ الاعتذار لغيابه عن مكتب الاستقبال. سأله نيكوس عندئذ إلغاء طلبها لسيارة الأجرة، فقالت له: «ارحل وإلا طلبت الأمن».

تأجّج غضبها عندما لاحظت أنّ موظّف الاستقبال يطيعه تلقائياً بالرغم من احتجاجها الصاخب.

ـ سأوصلك إلى المنزل بنفسي. هذا ما يتوقعه توم.

اعتبرت كايتي كلامه ذروة الخبث: «بقدر ما كان يتوقّع منك إهانتي كلّما سنحت لك الفرصة».

إن ظنّ أنّها ستركب إلى جانبه في السيارة فقد أصيب بالجنون. فكّرت في سرّها: أو أنا المجنونة إن فعلت!

قطّبت حاجبيها الرفيعين الخفيفين. عليها أن تسيطر على هذا الانجذاب الجسدي، أو أن تتجاهله على الأقلّ...

ـ هل هذا ما كنت أفعله؟

رفعت كايتي عينين حائرتين إليه: «لا أعرف ماذا كنت تفعل».

اعترفت بذلك بصوت مرتعش وأضافت بصعوبة وازدراء: «كان يجب أن أعلم أنّك من الرجال الذين يندفعون في الكلام بتهوّر».

رفعت كايتي نظرها لتراقب بانبهار الوجه الجميل يتوتّر... فقالت في

سرّها ونظراتها مشدودة إليه: يا إلهي! إنّه رائع حقاً!.

ـ إن كانت دقّة ملاحظتك تبلغ نصف ما تدّعينه، للاحظت أنّني بالكاد كنت أحاربك بالكلام.

سألته بعنف: «هل تقول إنّني متهوّرة؟».

تمتم نيكوس بضع كلمات غير مفهومة بلغته، ثمّ صرّ أسنانه قائلاً: «بل أظنّ أنّ تصرفك غير المنطقي هو نتيجة طبع صعب وعنيد ورديء».

ـ أكره أن أخيّب أملك، ولكنّ لمجرّد أنّ النساء ينفّذن رغباتك، لا يعني أنّهن يوافقنك الرأي، أو يخيّل لهنّ حتى أنّ لالّىء الحكمة تتساقط من فمك.

توقّفت للحظة لالتقاط أنفاسها، ثمّ أطلقت ضحكة لاهثة زائفة: «هذا يعني فقط أنّك تملك مالاً أكثر منهنّ. فهنّ في سرّهنّ يعتبرنك كابوساً بقدر ما أعتبرك أنا كذلك».

تحوّلت نظراته من الذهول إلى الغضب. لم يكلّمه أحد بهذه الطريقة من قبل. أما كايتي فتساءلت إن لم تكن قد بالغت. ولكنّها تشعر برغبة في امتحانه ودفعه إلى أقصى حدوده.

أجابها بصوت تعصف فيه ريح آتية مباشرة من القطب: «أفترض أنّ توم يجهل هذا الجانب الجميل من شخصيّتك. فهو لم يبدُ لي أبداً رجلاً غبياً. ولكن يبدو أنّ وجهاً جميلاً يجعل الرجل الأكثر حكمة غبياً».

اتّسعت عينا كايتي ليس من عنف الهجوم وحسب بل من الدهشة أيضاً. فقد استنتجت أنّه يظنّ وجهها جميلاً... صدمها اهتمامها بهذا الاكتشاف.

ـ والآن، كوني فتاة مطيعة ودعيني أرافقك إلى المنزل.

أجّج تشدّقه المتكبّر جمر طبعها محوّلاً إياه إلى نار حارقة: «اذهب وارمِ نفسك في البحر!».

صاحت في وجهه بطريقة صبيانيّة. وبما أنّها طويلة القامة، لم تكن كايتي معتادة على إمالة رأسها إلى الوراء لتنظر إلى الرجال. اشتعلت من

الداخل لشدة سخطها، لأنه طويل القامة لهذه الدرجة يتوقع أن يحصل على أفضلية غير عادلة في النقاش...؟.

فأكمل عابساً: «يمكنك أن تطمئني، أنا لست متهوّراً في القيادة، كما أنني أدرك تماماً أنّ السيارات يمكن أن تكون سلاحاً فتّاكاً. قتل أخي الأكبر بسبب سائق متهوّر».

لم تكن طريقته الباردة في الكلام تدعو للتعاطف. وبالرغم من ذلك، تحوّل موقف كايتي فجأة من العدائية القصوى إلى الشفقة المؤلمة. وبالرغم من لهجته الباردة، أحسّت أنه يخفي ألماً خلف هذه الواجهة المتحجّرة.

على الأرجح أنه تذكر هذه الحادثة بسبب ردّ فعلها. لم يكن بينهما شيء مشترك، لكنّها علمت الآن أنّ كليهما فقد أخاه في حادث سير. ومع أنّ الظروف مختلفة جداً، انتابها شعور غير منطقي بأنّ صلة ضعيفة ولدت بينهما. لم تكن كافية لجعلهما صديقين حميمين، لكنّها جعلته يبدو أكثر انسانية وضعفاً. ضعف...؟ رفعت نظرها إلى وجهه وهزّت رأسها. لا شك أنّها تبالغ بهذه الفكرة.

بدا الأمر مضحكاً. فقد حاولت اكتشاف نقطة ضعف في دفاعاته طوال الليل. والآن وقد فعلت، كلّ ما تفكّر فيه هو معانقته.

أوقفت أفكارها قبل أن تجمح أكثر، فهي متأكّدة من أنّ نيكوس لايكس هو آخر شخص في العالم يحتاج إلى عناقها لمواساته.

ـ أنا آسفة بخصوص شقيقك.

قطّب نيكوس حاجبيه القاتمين المرسومين بوضوح، بينما راقب تلك العينين الزرقاوين المليئتين بدموع لا تسيل. فاجأه هذا الموقف الغريب لامرأة قاسية تذرف دموعاً على شخص لم تقابله يوماً.

بدا له أنّ هذا الأمر غير المتوقع لا ينسجم مطلقاً مع الملف الذي كوّنه في ذهنه تحت اسم: «كاترينا فورسايث». وتجهّم نيكوس. كان في الغالب يعتبر نفسه ليّناً ومنفتحاً على الأفكار الجديدة، لكنّه في هذه اللحظة يقاوم بشدة أيّ احتمال لإعادة النظر.

أضافت بأدب: «وأنا متأكّدة من أنّك سائق ممتاز. ولكن لا نيّة لدي في...».

قاطع صوته العميق الشارد رفضها المشتت: «عندما رأيتك للمرة الأولى، ظننت أنّك تضعين عدسات لاصقة ملوّنة، فلون عينيك... عميق للغاية. ولكنّه طبيعي، أليس كذلك؟».

أخذ تعبيره منحى شبه اتهامي وهو يحدّق إلى اللون الأزرق الفاتح للعينين الكبيرتين وإلى الرموش القاتمة.

لم تتوقّع أبداً تعليقه، ما جعلها تطرف عينيها. أو ربّما جعلتها حدّة نظراتها تشعر بالحاجة إلى وضع حدّ للتواصل؟ فاجأها أن يكون قد لاحظ لون عينيها، فكم بالأحرى أن يفكّر بزرقتهما؟

- بالتأكيد هو طبيعيّ.

بدأ قلبها يخفق بقوة لسبب لم تفهمه، وكأنّها عائدة للتو من سباق.

تنحنح نيكوس ومرّر أصابعه الطويلة في شعره القاتم اللامع: «إنّه لون غير اعتياديّ أبداً. يكاد يكون بنفسجياً. هل ورثته عن أمّك؟».

شعرت بضيق في صدرها جعل صوتها يبدو لاهثاً عندما أجابت: «لا، عينا أمّي كانتا قاتمتين. بيتر ورث لونهما».

لان تعبيرها عندما تذكّرت شعر إلروي الأسود اللامع وبشرتها الذهبية اللون: «كان أبي أزرق العينين أحمر الشعر».

- كان؟ هل هو متوفٍّ؟

- كلاهما متوفّى.

- إذاً، في العائلة أنت فقط و... بيتر؟ أم لديك أخوة آخرون؟

هزّت كايتي رأسها: «لا، كنّا اثنين فقط... وبيتر أيضاً توفّي».

- منذ وقت بعيد؟

- سبع سنوات.

أومأ برأسه، ولكنه لم يصدر أيّ تعليق إضافي على ما قالته.

لم تدر كايتي ما الذي دفعها لإخباره بهذا. فهي لا تتحدث عن بيتر مع

أي كان، مع أنّ همّها جعلها تتوق أحياناً لمشاركته مع شخص آخر.

- أعلم أنّ وجودي يضايقك كاترينا...

يا له من قول!

- وهل تجد الأمر غريباً؟ لم أتوقّع أن يكون صديق توم المليادير هو نفسه الرجل المفلس الذي تزوّجته منذ سبع سنوات!

لا شك أن نيكوس سمع السؤال المبطّن في ملاحظتها المستاءة، لكنّه اختار تجاهله. وبدأت تتكوّن لدى كايتي فكرة أنّه يفعل ذلك مراراً.

- إن وضعت عدائيتك جانباً...

لم تستطع كايتي كبت ضحكتها الهستيرية. فردّت: «لا أظنني الشخص الوحيد الذي يظهر العدائية هنا يا صديقي!».

- إن توقّفت عن التشكيك والزمجرة لدقيقة، لأمكنك الاعتراف بأنّ لدينا أموراً نتكلم عنها.

ارتفع حاجباه بسخرية وأضاف: «ألا توافقينني الرأي؟».

فتحت كايتي فمها للإجابة ثمّ عادت فتراجعت، فهي لا تستطيع إنكار هذا الأمر. لا يمكن أن تلتقي بالرجل الذي طلبت منه الطلاق للتوّ من دون أن تتناقش معه.

تابع بينما كانت عيناه تراقبان المعركة الداخلية الظاهرة بوضوح على وجه كايتي المعبّر: «لدينا الآن فرصة مثالية للكلام».

ابتلعت كايتي ريقها وأومأت برأسها موافقة من دون أن تنظر إليه مباشرة.

***

عندما بلغا السيارة الرياضية، لم يظهر نيكوس أيّ رغبة في الكلام. ونظراً لمزاجها الحالي، كانت كايتي على استعداد لتنتقد طريقته في القيادة لو سنحت لها الفرصة، لكنّه لم يعطها فرصة. أراد أن يثبت لها أنّه كفوء وباستثناء السؤال عن الاتجاهات، لم يقل شيئاً منذ غادرا الفندق.

شعرت كايتي أنّ حلقها جاف، فتنحنحت وابتلعت ريقها. بدا أنّ كسر

الجليد أمر منوط بها فتساءلت عمّا يمكنها أن تقول.

ـ لمَ أنت هنا؟

لم يكن سؤالاً جيداً لكن كان عليها البدء من نقطة ما.

ـ عندما تكلّمت مع توم، لم يستطع التوقف عن الكلام عن امرأة أحلامه. فانتابتني الحشرية لرؤية هذه الماسة النادرة.

يا له من منحطّ ساخر! نظرت إليه بكراهية: «وكان هذا كلّ شيء؟».

وبدا الشك في صوتها عندما أكملت: «لا أؤمن بالصدف».

ـ ولا أنا، إلى أن فتحت بريدي الالكتروني مباشرة بعد حديثي مع توم. عندما قرأت رسالة هارفي حيث تطالبين بإبطال سريع لزواجنا، أدركت لما بدا لي اسم كايتي فورسايث مألوفاً لهذه الدرجة. كايتي... كاترينا... فكّرت في التحقّق من الأمر. مررت بهارفي وأنا في طريقي إلى هنا وحاولت الحصول على عنوانك. ولكن بما أنّه مثال للشهامة ومحصّن ضدّ الرشوة، رفض...

صرخت كايتي بصوت مصدوم: «لم تحاول رشوة هارفي!».

رمقها نيكوس بنظرة سريعة جعلتها تشعر بأنّها خرقاء، قبل أن يحوّل نظره إلى الطريق الضيق السيّء: «فعلت ما هو أسهل بكثير. ألقيت نظرة على الكومبيوتر في مكتبه فيما كان يتكلم على الهاتف».

أكّد هذا الموقف انطباعات كايتي الأولى عنه. هذا الرجل لا يملك أيّ مبادىء. ومن الأفضل أن تبقي ذلك في ذهنها خلال تعاملها معه.

ـ قد يهمّك أن تعرف أنّ هارفي قال لي إنّه يضمن شخصياً أمانتك.

اختنقت الكلمات في صدرها بينما نظرت إلى وجهه بقرف ممزوج بإعجاب لا إراديّ. إنّه مثير للإعجاب بحق، كان فكّه قوياً غير مكتنز، أما ملامحه الرجولية فتبدو وكأنها منحدرة من أجيال من التزاوج بين أفراد الطبقات الحاكمة.

ـ هذا يفسّر سبب عدم اتخاذه إجراءات الحذر الأساسية.

نظرت كايتي إليه متسائلة. فأضاف: «لم يطفىء الكومبيوتر عندما غادر

الغرفة».

ـ لا أدري من أين أتى هارفي بفكرة أنّك مثال للأمانة.

ـ أظنّ أنّه تلقّى معلوماته حول طبعي المثالي من مصدر متحيّز.

ـ ومن يكون هذا المصدر؟

ارتعشت شفتا نيكوس: «كايتلين».

ففكرت كايتي متجهّمة: امرأة، هذا متوقّع. ثمّ قاطعته بانزعاج: «وماذا اكتشفت بالتحديد عندما اطّلعت على كومبيوتر هارفي من دون حقّ؟».

لم تشعر بالارتياح لفكرة أن يعرف نيكوس لايكس تفاصيل حياتها. هارفي هو الوحيد الذي يعرف القصة الكاملة لموت بيتر. أمّا الآخرون فيظنّون أنّ وفاة شقيقها التوأم كانت حادثة مروّعة، شابّ مغرم بالسرعة حاول أن ينعطف بسرعة كبيرة جداً على دراجته النارية. هي أيضاً اعتقدت ذلك في البداية إلى أن قرأت الرسالة المكتوبة بخطه، والتي وجدتها تحت ممسحة الأرجل في اليوم التالي لجنازته. يومها أمسكت الرسالة لوقت طويل، خائفة من فضّها لقراءة كلمات بدت وكأنّها آتية من القبر. ثمّ قرأت: «أنا آسف يا كايتي، ولكنّني ببساطة لم أستطع تحمّل الذنب».

قرأت كايتي باستنكار، غير قادرة على التفكير في أنّ أخاها الذي يضجّ بالحياة وقع أسير يأس جعله يقضي على حياته بنفسه.

وتذكرت كلماته: ظننت أنني قتلت الرجل، كان عليّ أن أتوقّف، ولكنني أصبت بالهلع وهربت. ذاك الرجل عاش، لكنّه سيبقى مشلولاً مدى الحياة.

بكت كايتي طويلاً. بكت أخاها، وبكت الرجل الذي قضى استهتار أخيها على حياته.

صرخت في ذلك الوجه السعيد المبتسم إلى جانب وجهها في الصورة: «لمَ لم تأتِ إليّ؟».

لطالما لجأ أحد التوأمين إلى الآخر بحثاً عن الدعم في الأزمات. ولطالما

شكّلا جبهة مشتركة في مواجهة العالم.

بعد هذه الحادثة، بدأت كايتي تبحث بتكتّم عن معلومات تتعلّق بالرجل الذي صدمه بيتر، فاكتشفت أنّ اسمه إيان غراهام وهو كهربائي في الثلاثين من العمر. كان متزوّجاً من حبيبة الطفولة، ولهما طفل يبلغ من العمر عشرة أشهر.

استمعت كايتي إلى الأحاديث في دكّان البلدة حيث كان الزوجان يعيشان، فعلمت أنّ إيان لم يتأقلم مع عجزه، وأنّ زوجته الشابة تكاد تفقد صوابها، كما أنّ حالتهما المادية سيّئة.

وعدت كايتي نفسها أن تفعل شيئاً لمساعدتهما حتى لو اضطرها الأمر لأن تكرس لهما بقية حياتها. ولكنّ عائلة غراهام كانت بحاجة للمساعدة الآن، وليس بعد عشرين سنة.

تذكّرت الميراث الذي تركه لها ولأخيها جدّهما اليوناني، شرط أن يتزوّجا. يومها صدم التوأمان لهذا الكرم الصادر عن جدّ لم يعرفاه قط ولم يحصلا منه حتى على بطاقة معايدة وقد اتفقت مع بيتر على ألا يتزوّجا أبداً لمجرّد إغاظة الرجل الذي لطالما جسّد صورة الشر في ألعاب طفولتهما.

بدا من الغرابة بمكان أن تجعلها سلسلة أحداث غريبة تتبادل النذور المقدّسة مع الرجل الجالس قربها.

ـ اهدأي، فأسرارك في أمان. لم أجد إلا عنوانك ورقم صندوق بريد مشترك مع توم. لذا كان من السهل الافتراض أنّ زوجتي وملاك توم هما الشخص عينه.

تنفّست كايتي الصعداء بقوّة.

ـ ألم يخطر في بالك أن تعلمني بأنّك قادم؟

اعترف بصراحة: «فكّرت في أنّ ردات فعلك ستكون أكثر عفوية إن لم أعلمك».

فقالت كايتي في سرّها: بمعنى آخر، أراد أن يراني أرتبك، وهذا ما حصل.

قالت بصوت مخنوق: «لا شك أنك كنت تتسلى باقتلاع أجنحة الذباب عندما كنت صغيراً».

بدا غير مكترث لهذا الازدراء: «توم صديقي، ولا أرغب في رؤيته يرتبط بزواج غير حكيم».

ـ والزواج بي ليس حكيماً؟

ارتفع صوتها بغضب ما جعل نيكوس يجفل.

ـ يبدو أنّك لم تفكّر بهذا في وقت مضى!

ـ وصلت إلى هنا بذهن منفتح.

أطلقت كايتي ضحكة ساخرة: «هذا ليس صحيحاً! ما بالك؟ ألا تحتمل رؤية الآخرين سعداء؟».

ـ من الطبيعي أن تقلقي، فأنا لن أتجاوب مع طلب الطلاق.

اتّسعت عينا كايتي بقلق وشعرت وكأن الأرض تتداعى تحت قدميها: «لن تفعل، أليس كذلك؟».

لم يجب على همستها المرتعبة. ولكنّ ابتسامته الغامضة بدت مقصودة لجعلها تستمرّ بالقلق. وأدركت كايتي أنه لن يعطيها إجابة صريحة، فالرجل لديه مخطط سادي طويل ليجعلها تشعر بالرعب.

ـ في الواقع، عندما قرأت رسالة هارفي، بدا الوقت مناسباً. فقد كنت أفكّر بالزواج أيضاً.

بدا الارتياح على كايتي فأسندت ظهرها إلى مقعدها: «هذا رائع!».

قالت ذلك بسعادة، وافترضت أنّه لا بدّ أنّ عدداً من النساء يرغبن بهذا الرجل، وهن مستعدات لتجاهل طبعه المتغطرس الأناني.

ـ ومن هي سعيدة الحظّ؟

ـ لن تعرفيها.

ففكّرت كايتي بازدراء: بمعنى آخر، نحن لا ننتمي إلى المجتمع ذاته... يا له من متكبّر!

ـ لَمَ لم تخبري توم أنّك متزوّجة؟

طرحت كايتي هذا السؤال على نفسها مراراً في الآونة الأخيرة. ولكنّها لم تقتنع بأيّ من الإجابات التي خطرت لها، فأجابت بوقاحة: «لقد غاب الأمر عن بالي».

رمقها نيكوس بنظرة ساخرة. فتنهّدت وهزّت كتفيها بحركة مهزومة، ثمّ قالت له بغضب: «في الواقع، لم أشعر أبداً أنني متزوّجة. كما أنّ هذا الزواج ليس بالأمر الذي أفخر فيه في حياتي».

فهي لو أخبرت توم بذلك، فستضطر إلى إخباره لما قامت بهذا الأمر. وهذا لم يكن خياراً يريحها. فلا أحد يعلم الحقيقة سوى هارفي. وهي تنوي أن تبقي الأمر كذلك، إكراماً لبيتر. فقد دفع أخوها حياته ثمن خطئه... أليس هذا كافياً؟

قالت له ببرود: «كنت بحاجة للمال يومها، لا أكثر ولا أقلّ. والغاية تبرّر الوسيلة».

ثمّ أضافت: «وكنت آمل أن ينهي هارفي الأمور بطريقة ما، ولا حاجة لأن يعرف توم بأي شيء».

ـ سيبنى زواجكما إذاً على الأكاذيب... هذا أساس ممتاز.

تورّدت كايتي بغضب لتهكّمه: «لم أكذب على توم أبداً. لو سألني إن كنت متزوّجة لأخبرته بذلك».

ـ هو إذاً زواج مبني على أنصاف الحقائق. أهنّئك، إنّه لتقدّم كبير.

تنفّست كايتي بقوة: «يا إلهي، كم أنت حادّ! أستغرب كيف لا تجرح نفسك».

وفكّرت ساخرة من نفسها: لا بدّ أنني محظوظة للغاية.

ثمّ أضافت ببراءة: «أفهم أنّ صديقتك تعلم أنّك متزوّج؟».

تصلّب فكّه بانزعاج، وسمح لها الضوء الخافت برؤية احمرار يعلو وجنتيه. وسرّت كايتي لذلك.

فضمت ذراعيها إلى صدرها وابتسمت: «سأعتبر هذا نفياً، أليس كذلك؟».

ـ ليس الأمر سيّان على الإطلاق.

فقالت بدهشة وعيناها تتسعان: «هذا مخيف للغاية. انتابني شعور غريب بأنّك ستقول ذلك».

تصلّبت أصابع نيكوس الطويلة اللينة على المقود. وقال بعنف: «يا إلهي!».

ولم يعد احمرار الغضب موضعاً للشكّ حين أضاف: «لا أسمح لك بأن تكلّميني بهذه الطريقة».

سألته كايتي فيما هي تضع رجلاً على الأخرى بأناقة: «هل ينفّذ الناس دائماً ما تطلب منهم؟».

فأجاب: «نعم!».

ـ لا بدّ أنّ هذا مملّ.

ـ لماذا تتزوّجين توم؟

ـ للأسباب المعتادة التي يتزوّج الناس من أجلها.

ـ هل تعنين أنّك حامل؟

هزّ كتفيه استهجاناً بينما شهقت كايتي وقد شعرت بالإهانة.

ـ إذاً لست حاملاً.

وأكمل بينما قطّب حاجبيه: «ولست مغرمة به. هذا يترك لنا...».

ـ من قال إنني لست مغرمة بتوم؟

ضحكته الخافتة الساخرة جعلتها ترتجف من الكراهية.

وأضاف، كما لو أنّه جاهل يحاول فهم مسألة بسيطة: «يمكنني أن أستنتج أنّه وقع ضحية إغراءك. ولكن إن كنت تملكين العديد من الأثواب المشابهة لهذا الذي ترتدينه، فالأمر لا يفاجئني».

وسمح لعينيه بالتحديق إلى الفستان الحريري الأزرق وتكاوين جسمها الجميلة التي يخفيها.

ـ إنه من ماركة «سي جي مالون»، أليس كذلك؟

وفكّر أنّ كايتلين ستفرح لرؤية أحد تصاميمها على جسم امرأة تملك

القياسات الخيالية التي يعتمدها كلّ مصمّم عند ابتكار الملابس.

ـ على الأرجح.

أجابت كايتي شاردة، إذ أنّها لن تتعرّف على فستان من ماركة «سي جي مالون» حتى لو وقعت عيناها عليه. لكنّها ما كانت لتعترف له أنّها ترتدي فستاناً مستعاراً.

ـ أعرف العديد من النساء اللواتي يرتدين ملابس غالية الثمن. ولكن أيّ منهنّ لن تظهر عدم الاهتمام إن كانت ترتدي «سي جي مالون».

فهزّت كتفيها باستهجان وقالت: «ذاكرتي سيّئة في حفظ الأسماء».

ـ ولكنّها جيدة في توقيع الشيكات. أفترض أنّك إن تزوّجت مقابل المال مرّة يصبح الأمر أسهل في المرة الثانية؟

وخفّف سرعته عند تقاطع طرق، فقالت كايتي بتهذيب: «إلى الشمال... أنت تستعمل الازدراء بسهولة بالنسبة إلى شخص تزوّج من أجل المال. ولكنني أظنّ أنّ الزواج المدبّر في دمك».

سرّت كايتي لرؤية فكّه المتوتّر يتصلّب، وافترضت أنّها تمكّنت من إثارة غضبه. في الواقع، هذا ما أملته، مع أنّها لم تعرف لما أرادت أن تغضبه. كان من الصعب عليها أن تتأكّد من نجاحها في ذلك، لأنّ رموشه السوداء الطويلة كانت تغطي عينيه وتعكس خيالاً على وجنتيه العاليتين المسطّحتين. أمّا وجهه فبدا جميلاً مع أنّها تنظر إليه جانبياً.

أظهرت كايتي تعبيراً ينم عن التعاطف الساخر: «ما الأمر يا نيكوس؟ عندما قطع والدك دعمه لك، ووجدت مصدر دعم آخر بتلك الطريقة، هل شعرت بأنّك قمت بعمل قذر؟»

رمقها بنظرة كراهية حارقة قبل أن يأخذ المنعطف الذي أشارت إليه: «لست مجبراً على تبرير تصرّفاتي أمامك».

فقالت بغضب: «ولا أنا أيضاً».

من بين كلّ الرجال في العالم لما اختار هارفي هذا الرجل بالذات؟ لماذا؟

قال بغضب: «يا إلهي!».

ثمّ صرّ أسنانه وأضاف: «لسوء حظي، أنت أكثر النساء اللواتي قابلتهن أذيّة. إنّ منعك من تدمير حياة صديقي أمر يستحق العناء».

تصلّبت كايتي كما لو أنّ تيّاراً جليدياً تسلّل إلى عمودها الفقري: «ماذا تعني بذلك؟».

ـ أظنّك تعرفين تماماً ما أعنيه.

ـ لست بقارئة أفكار.

لم تكن قادرة على إخفاء الارتجاف الخائف في صوتها.

ـ لو ظننت للحظة واحدة أنّك ستسعدين توم، لمنحتك الطلاق.

ـ ولكنّني سأسعد توم. أنا أحبّه...

أعلنت ذلك بصوت عالٍ. فتردّد صوت ضحكة ساخرة في حلق نيكوس، وأعلن بهدوء: «راقبتكما معاً. أنت لا تحبّين توم».

ـ وأنت كنت لتعرف، على ما أظنّ؟

أجابها بسخرية وازدراء: «أعرف كيف تتصرّف امرأة مغرمة، وأنت لا يبدو عليك ذلك. لم يظهر في عينيك أيّ شغف عندما التقتا بعينيه؛ تتصرفين وكأنّه صديقك لا أكثر».

ـ لا يظهر الجميع مشاعره بسهولة. وفي الزواج ثمة ما هو أكثر بكثير من العلاقة الجسدية!

ـ هذا صحيح. أعترف أنّ العديد من الزيجات الناجحة مبني على أسس أكثر منطقيّة. لا مشكلة عندي في ذلك طالما يوافق الطرفان على الاتفاق بوعي ونضوج.

ـ مثلنا تماماً.

ـ هناك فرق كبير بين الحالتين إلا إذا كنت تنوين عدم مشاركة توم غرفته. من جهتك أنت، فالشبه واضح. ولكن أنا بعكس توم، لم أكن مغرماً بك بجنون.

قال ذلك بتهكّم، ثم تابع: «أنا أحتقر نفاقك في الادّعاء بأنّك تتزوّجين لأسباب نقية وسامية. فالأمر الذي تحبّينه هو فكرة الزواج من رجل يستطيع

ابتياع المجوهرات والثياب الثمينة لك».

ـ كيف تجرؤ على التصرّف وكأنّك تعرفني؟ صحيح أنّك تزوّجت مني، ولكنّك لا تعرف شيئاً عنّي!

ـ ولكننا متزوّجان. وطالما نحن كذلك، توم في أمان من ارتكاب أسوأ غلطة في حياته...

ـ ولا يمكنك الزواج من صديقتك.

لا بدّ أن يكون هذا مهمّاً في نظره.

ـ ستنتظر.

أظهرت لهجته المتفاجئة أنّ ما من احتمال آخر خطر له.

سمحت كايتي لنفسها بتصوّر نيكوس لايكس رجلاً محطّماً متروكاً عند المذبح. والعروس التي تتركه في هذا الموقف تشبهها إلى حدّ بعيد. وبالرغم من جمال هذا الوهم، أدركت أنّ عليها التفكير بطريقة تمكّنها من التعامل مع نيكوس في العالم الحقيقي، فما هو الحلّ؟ لم تعد تعلم بما عليها أن تفكّر.

ـ ربّما لديك صديقة تسمح لك بتجاهلها وتنتظرك إلى ما لا نهاية، ولكنّ الصحافة أمر آخر فهي لا تتحلى بالكثير من التسامح مع الأغنياء المستهترين.

شعرت كايتي بجسمه الكبير يتوتّر خلف المقود: «ماذا تعنين...؟».

رفضت كايتي الاستسلام للتهديد في صوته: «أعني أنّ الصحافة ستحصل على أخبار جيدة إذا اكتشفت أنّ فرداً من عائلة لايكس تزوّج صورياً ليحصل على مبلغ من المال للحفاظ على حياته الرغيدة».

لم تكن كايتي تعرف الكثير عن هذا الموضوع، لكنّها متأكدة من أنّ الصحافة تهتمّ لمعرفة أخبار نيكوس لايكس، وتهتم أكثر لمعرفة قصة زواجه! هي لن تقصد الصحافة بكلّ تأكيد، لكنّه لن يعرف هذا. يناسبها في الوقت الحاضر أن يظنّ أنّها سافلة جشعة. رمقته بنظرة حذرة... وابتلعت ريقها. لقد أصابت بكلّ تأكيد نقطة حسّاسة.

ـ يمكنني أن أرى العناوين الرئيسية منذ الآن...

تنفّست بقوة. ومع أنّها كانت تنظر بثبات من النافذة، إلا أنها شعرت بالتوتّر المتفجّر من وجهه. طال الصمت بينهما، ولم تعد كايتي قادرة على احتماله، فاستدارت في مقعدها ونظرت إليه.

إن كان التعبير على وجه نيكوس يدلّ على ما يدور في خاطره، فلا شك أنه رأى، هو أيضاً، العناوين التي تكلّمت عنها. أسكتت كايتي ضميرها المنزعج مذكّرة نفسها بأنّها ما كانت لتلجأ إلى هذا النوع من المخططات لو لم يلعب هو بقذارة أولاً.

سألها أخيراً غير مصدّق: «أنت تهدّدينني؟».

أحسّت كايتي أن ابتسامة القرش الرقيقة تلك، والصوت الناعم الذي رافقها أشدّ تهديداً من الصراخ والشتائم.

في الواقع، بدا الوضع مثيراً للأعصاب. لكن لو كانت تملك خياراً آخر، أو أنّها أقلّ عناداً، لفضّلت الانسحاب من هذا الموقف في الحال.

ـ فكّري جيّداً قبل القيام بذلك، «بينيكا مو» (أي صغيرتي).

من الذي يهدّد الآن...؟

ـ لا تدعوني «بينيكا مو».

صرّت أسنانها قبل أن تضيف: «المنزل الثالث إلى اليسار بعد الهاتف العمومي».

أراحتها قليلاً رؤية الأضواء في هذا الشارع. حتى في الضوء الخافت، بدت السيارة التي يقودها نيكوس مميزة. ولم يساورها شك في أن الرجل يودّ أن يخنقها. لكن بدا لها أنّه رجل عمليّ لا يرتكب حماقة تعرّضه للخطر.

بدا نيكوس مصعوقاً: «تتكلّمين اليونانية؟!».

جمدت كايتي، فقد جاءت ردّة فعلها على كلامه الساخر لا شعورية: «بضع كلمات فقط».

تمتمت بهذه الإجابة، وهي تفكّر بالتهويدة التي اعتادت أمّها أن تنشدها لها قبل النوم عندما كانت طفلة صغيرة. فمعرفتها باللغة اليونانية تقتصر على هذه التهويدة وبضع كلمات أخرى، مع أنّها تتمنى الآن لو أتقنت لغة

أمّها. فقالت له بلطف: «عندما أزور بلداً، أحرص دائماً على الاستفسار عن أمكنة اللهو، وكيفية العثور على صحبة، وفهم ما يقوله لي الرجل عندما يغازلني».

ثم أضافت في سرّها: هذه أنا، المرأة المجرّبة التي سافرت كثيراً واختبرت الكثير.

يا إلهي! هل كان ليضحك إن علم كم أنّ هذا بعيد عن الحقيقة؟ المرة الوحيدة التي خرج فيها جواز سفرها من الحفظ كانت للقيام برحلة استغرقت يوماً واحداً إلى «كاليه». ولا شك أنّ الكثيرين ممن يبلغون الخامسة والعشرين من العمر أكثر خبرة منها!

تبخّرت كلّ أفكارها بينما هما يعبران المنعطف الضيق التالي.

صرخت فجأة بإصرار: «يا إلهي...! أوقف السيارة!».

ـ لا حاجة أبداً للتهديد. كوني متعقّلة فمعاداتي ليست أمراً سهلاً. وامرأة واسعة الحيلة مثلك ستجد بدون شكّ رجلاً ساذجاً آخر يملك الكثير من المال. لكن لا يمكنني أن أسمح لك بالزواج بتوم.

لم تكن كايتي تستمع إلى هذه الكلمات بينما قفزت في مقعدها بغضب: «قلت لك أوقف السيارة!».

أمسكت المقود بعنف وجرى بينهما صراع صغير انحرفت خلاله السيارة بعنف، وبالكاد نجت من الاصطدام بشجرة كبيرة قبل أن يتمكّن نيكوس من إيقافها بأمان وهو يطلق الشتائم.

قال لها متوعّداً، وهو يرمقها بنظرات متّقدة: «هل أنت مجنونة؟ كدت تتسبّبين بقتلنا!».

هزّت كايتي رأسها لتوقف الرنين في أذنيها، فقد ارتطم رأسها بالباب وهما يتصارعان.

قالت وهي تمد يدها لتفتح الباب: «حسناً، لو نفّذت ما قلته لك بدل تجاهلي...».

وإذا بأصابعه البرونزية الطويلة تغطي أصابعها: «لن تذهبي إلى أيّ

مكان...».

أدارت كايتي رأسها نحوه بنفاد صبر: «إخرس واطلب الإطفاء. هذه شقتي هناك التي يخرج الدخان من نافذتها اللعينة».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ لن تخاطر بحياتك!

لم تنتظر كايتي لتعرف إن كان نيكوس سيفعل ما طلبته منه بل فتحت الباب بعنف، ورفعت فستانها الطويل، ثم ركضت برشاقة في الشارع وصولاً إلى المدخل الذي تتشارك به مع سايدي.

راحت تقرع الباب بعنف، وهي تبحث عن المفتاح في حقيبة يدها. وقبل أن تجده، ظهرت سايدي مرتدية بنطالاً حريرياً واسعاً وقميصاً فضفاضاً، وهي تطرف بعينيها من النعاس.

ـ أين الحريق...؟

لم تكن كايتي تملك الوقت لتضيّعه على التفسيرات: «في الطابق العلوي».

اتّسعت عينا سايدي بينما أدركت للمرة الأولى العجلة في تصرّفات كايتي: «أنت جادة؟».

تنشّقت الهواء وأضافت: «أنا أشمّ رائحة الحريق!».

فدفعت كايتي صديقتها بفظاظة وصرخت وهي تصعد الدرج راكضة: «هذا لأنّ شقتي تحترق و«ألكساندر» ما زال في الداخل!».

تجاهلت الصرخة القلقة التي أطلقتها سايدي قائلة: «لا يمكنك أن تصعدي إلى هناك يا كايتي... إنّه مجرّد هرّ!»

غدت رائحة الدخان أقوى وهي تصعد السلالم. وعندما وصلت إلى الطابق العلوي، لم تلاحظ شيئاً غير مألوف، ما عدا القليل من سُحب الدخان التي تتسرّب من تحت باب شقتها. مع قليل من الحظ، قد يصل

رجال الإطفاء قبل أن يخرج الأمر عن السيطرة.

وقفت مترددة لبرهة، لا تعرف ما عليها أن تفعله. ماذا يفعل الآخرون في ظروف كهذه...؟

ـ عند وقوع المصائب، اعتمدي على حظك.

فكّرت في ذلك بطريقة مبهمة، ثمّ أخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب. تنفّست الصعداء بقوّة إذ لم تقذفها كرة نار قاتلة. وضعت يدها على صدرها إذ راح قلبها يخفق بسرعة جنونية، وكأنه يحاول الهروب من قفصها الصدري. فقالت في نفسها: لعلّ هذا يوم سعدي رغم كلّ شيء.... يوم سعدي...؟ يا إلهي! ها أنا أفكّر كأحد أولئك البلهاء الذين يرون جانباً مشرقاً في كلّ مصيبة، مهما كانت شديدة.

ـ تحلّي بالتفاؤل يا كايتي. شقّتك تشتعل لأنّك نسيت إطفاء المكواة. هذا ليس حظاً بل مصيبة.

هدأت أعصابها وقويت عزيمتها لسماع صوتها. كانت شقّتها عبارة عن غرفة معيشة تحوي مطبخاً، وغرفة نوم مع حمّامها الخاص. ومع أنّ الغرفة الرئيسية كانت مليئة بدخان لاذع أدمع عينيها، إلا أنّ كايتي لم ترَ علامات حريق أخرى واضحة، ما يؤيّد نظريّتها القائلة بأنّ الحريق بدأ في غرفة النوم حيث كوت فستانها على الأرض بدلاً من تكليف نفسها عناء جلب لوح الكوي.

راحت تنادي هرّها وهي تتقدم بحذر في الغرفة المملوءة دخاناً: «ألكس...».

لم تكد تقطع مسافة صغيرة في الغرفة حتى أصبحت الرؤية معدومة. لكنّها تمكّنت من ملاحظة اللون البرتقالي الباهت الظاهر من تحت باب غرفة نومها. فكان الشيء الوحيد الذي وجّهها في الظلام مع أنّه أثار فيها شعوراً قوياً بالقلق... كم من الوقت سيتمكّن الباب من احتواء ألسنة النار؟

في وقت كهذا، لا يفيد الخيال الناشط بشيء.

قالت لنفسها: التفكير في هذا الأمر لا يجدي نفعاً. أكملي مهمّتك

فقط. فكلّما أبكرت في إيجاد هذا الهرّ اللعين، كلّما أسرعت في الخروج.

وبالرغم من رباطة الجأش هذه، راحت ركبتاها ترتعشان وهي تتقدم بحذر. كانت تتوقّف بين الحين والآخر لتستمع، لكنّه لم يكن يجيب نداءها.

لم تعلم كايتي لما توقّعت أن يجيبها، فألكساندر لم يكن هرّاً لطيفاً ولا هرّاً صغيراً جيّداً. فهو يهاجمها إن حاولت أن تبدي له أيّ عاطفة. لو كان إنساناً، لقال الأطبّاء إنّه يعاني خللاً في شخصيّته.

قالت في سرّها بتجهّم: لو كنت أتحلّى بأيّ منطق، لتركته يتفحّم!

وبينما راحت تناديه بلطف وتملّق، اصطدمت بشيء صلب: طاولة القهوة التي اشترتها من متجر الأغراض المستعملة. الاصطدام بالخشب كان كافياً لجعلها تقع على ركبتيها. شعرت على الفور بأنها جرحت ركبتها كما شعرت بالقماش الناعم لفستانها يتمزّق.

ـ تبّاً!

وبينما كانت جاثية على ركبتيها، لاحظت أنّ الدخان قرب الأرض أقل كثافة، فقرّرت إكمال بحثها من موقعها هذا.

كانت تزحف بحذر عندما سمعت صوتاً ينادي باسمها. ففكّرت: نيكوس... حسناً، إن كان يريد قتلي، فهذه فرصته المثالية.

وقرّرت أن الوقت مناسب الآن للمزاح السيء، فأكملت بحثها، حريصة على تجاهل صيحاته التي تزداد إلحاحاً.

تحوّلت ضحكتها المتجهّمة إلى سعال عندما سمعت صوت ارتطام قويّ تبعته شتيمة باللغة اليونانية. وأدركت لاحقاً أنّ السعال هو ما دلّه على موقعها، لأنها بعد لحظات شعرت بيدين قويتين تنزلقان تحت ذراعيها وترفعانها عن الأرض.

ـ دعني أيّها الأحمق!

ـ لا تتحرّكي واهدأي. لقد أمسكت بك.

لقد فعل ذلك بالفعل، أمسكها في قبضة قوية جعلت الهروب مستحيلاً: «أنت في أمان الآن».

لم تكن كايتي ترغب في أن ينقذها أحد. وقد أعلمتها غريزتها أنّ ذراعيّ نيكوس لايكس لن توفرا لها الأمان. ولكن فكرة ما يمكن لهاتين الذراعين أن تفعلا بها هي ما جعلها تبدأ بمقاومته. وامتزج تنفّسها بالنبرة المطمئنة في صوته العميق فبدت أكثر توتّراً.

صرخت عندما توقّف عن محاولاته اللطيفة لتهدئتها واستعاد طبعه. ومن دون تردّد، رمى بجسمها المقاوم على كتفه على غرار رجل الإطفاء. فقالت لنفسها: لم تعد المقاومة تجدي وأرخت بثقلها مستسلمة بتعب.

اضطرت كايتي للبقاء في هذه الوضعية المهينة إلى أن بلغا المدخل، حيث وجدت نفسها مرمية على الأرض الخشبية التي خطّطتها سايدي ودهنتها قبل الميلاد... فقالت في سرّها: يا إلهي! مسكينة سايدي...! حصل كل ذلك بسبب غبائي! أنا مستأجرة جهنمية!

شعرت بأصابع باردة تضغط على النبض عند أسفل عنقها، ثمّ بيد، هي نفسها على الأرجح، تنسلّ تحت ذقنها لتبدأ برفع رأسها بحزم.

فتحت عينيها الدامعتين، وشعرت بالإحراج عندما بدا لها أنّ نيكوس يعزو سبب جمودها إلى فقدانها للوعي. ثمّ شعرت بالخجل لأنها فكّرت فعلياً في لحظة ضعف بتركه يحاول إنعاشها.

كان الصوت في رأسها قوياً وآمراً: «هلاّ توقّفت عن هذا؟».

ولكنّ ما صدر عبر شفتيها الجافتين كان نقيقاً ضعيفاً.

قال ذلك الوجه الكبير المنحني فوق جسمها فيما هو يقف: «حسناً، لقد أرحتني. لست بحاجة إلى الإنعاش».

وبالرغم من أنّ وجه نيكوس وثيابه كانت سوداء ملطّخة بالسُّخام، إلا أنه ما زال وسيماً للغاية كعادته في أيّ وقت.

قالت بصوت أجشّ: «تصوّر راحتك وزدها أربعة أضعاف».

ـ لم أتوقّع الشكر لإنقاذي حياتك ولكنّ التمدّن قد يكون جيّداً...

إنقاذ حياتي! صرت أسنانها بينما كانت تحاول جاهدةً الجلوس، ثمّ أجابت: «لم تكن حياتي بحاجة للإنقاذ إلى أن بدأت تتصرّف كإنسان

الكهف».

راحت تلهث وبدت غير قادرة على الوقوف، فتمسّكت بأول دعامة وقعت عليها لتتمكّن من النهوض، وكانت الدعامة رجليه المحيطتان بجسدها. الصلابة التي صادفتها جعلتها تتوقّف، وتقلصت عضلات معدتها، فلم يعد الهروب يبدو أمراً مستعجلاً.

وعادت كايتي إلى نفسها فشعرت بالخجل الشديد. لم تستطع مسامحة نفسها لأنّها أضاعت لحظات ثمينة في ظلّ هذه الظروف. فقالت بغضب شديد: «لا بدّ أنّ ألكساندر تفحّم في الداخل بسببك».

أعلمته بذلك بينما سحبت جسمها من بين قدميه وحاولت الوقوف. ولكن ما إن فعلت حتّى خانتها ركبتاها. علا وجه نيكوس تعبير خائف إلّا أنّه وبخفّة ورشاقة رياضية، أمسك بها قبل أن تنزلق على الأرض، ممّا لطّف حدّة سقوطها على السطح الخشبي.

انحنى رأسها بين ركبتيها وأخذت تضرب الهواء بيديها بحركات عشوائية. ولم يسمح لها نيكوس بالوقوف إلا بعد أن توقّفت عن الصراع.

ـ أيّها الرجل الغبي! غبي!

قالت هذا وهي ترتعش وتمسح دموع الغضب التي انهمرت على وجهها القذر، تاركة آثاراً شاحبة من السخام. كان نيكوس جاثياً بالقرب منها، ولم يبدُ متأثّراً بهجومها. فأشارت إلى الباب وتابعت: «ما زال ألكساندر في الداخل».

تجهّم نيكوس وأجاب: «سمعتك. حافظي على هدوئك، فالجنون لن يفيدنا».

فأجابته بصوت مرتفع: «أنا هادئة!».

ـ لماذا لم تخبريني بما كنت تفعلينه منذ البداية؟ هذا ليس الوقت المناسب لتحافظي على سمعتك.

رفعت كايتي حاجبيها غير مصدّقة. سمعتها؟ أمّا بالنسبة للهدوء، فقد كان مغزى كلامه ظالماً وكافياً ليثير غضبها من جديد. فقدت قدرتها على

الإجابة مؤقتاً، ثمّ صرخت في وجهه، أو بالأحرى كانت لتصرخ لو لم تكن تسعل كثيراً: «تتكلّم كما لو أنّك أعطيتني فرصة لإخبارك!».

تنفّست سايدي الصعداء عندما وصلت إلى أعلى السلالم وقالت: «كايتي! يا إلهي... كايتي! أنت بخير، الحمد لله! يا إلهي، عليّ حقاً أن أفقد بعض الوزن. سوف أسجّل اسمي في النادي في الأسبوع القادم...».

راح نيكوس ينظر مذهولاً إلى سايدي وهي تثرثر. وبدا لكايتي أنّه على وشك الإدلاء بإحدى ملاحظاته الشريرة. فدفعته بمرفقها بقوة، وقالت له في محاولة لحماية صديقتها من كلماته اللاذعة: «إنّها مذعورة. وهذه طريقتها في التعامل مع الأمور».

يا إلهي، لا يتحلّى هذا الرجل بأيّ إحساس!

تفهّم نيكوس الموضوع فتركها بعد أن هزّ رأسه آمراً إياها بملازمة مكانها! راقبته كايتي مذهولة بينما انحنى على سايدي مبتسماً وقال لها بسحر ورقّة فائقة: «خذي نفساً عميقاً».

كان لصوت نيكوس تأثير مهدّىء على سايدي التي رفعت إليه نظرها بامتنان. رأتها كايتي تسيطر على نفسها قبل أن ترتسم على وجهها نظرة تقدير. ثمّ سألها نيكوس: «هل أنت مصابة بالربو؟».

ـ لا، أنا فقط سمينة وغير متناسقة.

ضحكت سايدي ثمّ أكملت: «ركضت من البوابة إلى هنا. أظنّ أنّ رجال الإطفاء قادمون. سمعتهم من بعيد... هل أعود وأنتظرهم؟...».

ـ رافقي كاترينا إلى الأسفل. واتركا المنزل على الفور.

ففكرت كايتي في سرّها: أظنّ أنّ أمثال نيكوس يعودون إلى أصلهم في ظروف كهذه. ظروف تتطلّب شخصاً مسؤولاً يتخذ القرارات. لا يمكن لأحد أن يتّهم نيكوس بأنّ لديه مشكلة في اتخاذ القرارات، ولا حتى ألدّ أعدائه، الذي قد يكون أنا.

ـ لن أذهب إلى أيّ مكان قبل أن يخرج...

أعلن نيكوس بتعالٍ وكأنه سيد عظيم: «أنا سأحضر ألكساندر وأنت

ستغادرين المبنى».

ثمّ سأل بينما كان يتقدّم نحو الشقة المشتعلة: «كم يبلغ من العمر؟».

ـ لا يمكنك العودة إلى هناك.

لا يمكنها أن تدع الرجل يموت في سبيل إنقاذ هرها.

ـ ركّزي تفكيرك!

كان تفكير كايتي مركّزاً فعلاً، ولكن على النقاط الفضية الرائعة في عينيه. شعرت فجأة بالضغط والإرهاق والرعب. فما من وقت أسوأ من هذا للاعتراف بأنها تشعر بالانجذاب نحو هذا الرجل. تمنّت لو أنّها تجد تفسيراً آخر لتوقّف تفكيرها عن العمل، وتحوّل جسمها إلى كتلة أحاسيس حيّة عندما تكون بالقرب منه.

ـ كم يبلغ من العمر؟

أعاد نيكوس طرح السؤال إذ لم تجب عن سؤاله الأوّل.

لم تفهم كايتي أهمية السؤال، ولكنها شعرت بأنّها مضطرة إلى الإجابة، ذلك أن لدى نيكوس قوة تجبرها على التجاوب، مهما بلغت بساطة السؤال أو الطلب.

ـ ثلاثة أعوام على ما أظنّ.

فجمد نيكوس في مكانه، وقال بازدراء ورعب: «ثلاثة أعوام؟!».

ثمّ أخذ نفساً عميقاً قبل أن يكمل: «تركت طفلاً يبلغ من العمر ثلاثة أعوام وحده؟».

فغرت كايتي فاها. لقد ظنّ... ظنّ فعلاً أنّها... ! خانتها الكلمات. يا إلهي! كانت تعلم أنّها برأيه امرأة منحطّة، ولكن ليس إلى هذه الدرجة! كانت سايدي تمسك بكايتي، فأسرعت لنجدة صديقتها: «طفل؟».

نظرت إلى الرجل اليوناني الذي بدا وكأنه أصيب بالجنون، وأكملت: «ألكساندر هر».

كان نيكوس يتحضّر للانطلاق، وقد بدت عضلات جسمه متشنّجة

لحجم المهمّة التي تنتظره. ولكن لدى سماعه كلماتها، تحوّل إلى تمثال جامد، لا يتحرّك فيه شيء إلّا عينيه اللتين انتقلتا من كايتي إلى سايدي التي هزّت رأسها موافقة، ثمّ عادتا لتتفحّصا وجه الأولى.

راقبت كايتي عضلات حلقه تتقلّص وهو يبتلع ريقه، قبل أن يقول: «خاطرت بحياتك لإنقاذ هرّ؟».

ـ آسفة، أعلم أنّه كان لينا سبك أكثر لو أنني تركت طفلاً عاجزاً وحده في الشقة.

فتجهّم بانزعاج وقال: «ما الذي تقصدينه؟ يناسبني أنا؟ ليس لديّ أفكار خفية».

ـ أنت على حقّ. ليست خفيّة بل واضحة وجليّة. من الأسهل عليك أن تستمرّ بالادّعاء أنّك تقوم بهذه التضحية لتنقذ صديقك من زواج رهيب إن تبيّن أنني وحش لا يملك أيّ إحساس. ولكن إن تبيّن أنني لست ساقطة متحجّرة، لن تبدو صديقاً وفيّاً، بل حيواناً حاقداً لا يمكنه أن يتحمّل رؤية الآخرين سعداء لأنّه متحجّر العاطفة وعاجز عن إقامة علاقة سليمة!

التقطت أنفاسها ما إن أنهت كلامها فتحوّل الذهول في تعبيره إلى غضب جامح، وسأل بتعالٍ وعنف: «هل انتهيت؟».

ـ لا لم أنتهِ بعد.

سمعت كايتي نفسها تجيبه بشراسة، مع أنّها لم تعد تملك أيّ قوة. وزادت حدة الصمت المترقّب، فرفع نيكوس حاجبه باستهزاء.

ـ لم أخاطر بحياتي. أنت تصوّرت ذلك فقط.

ذكّرته بذلك، مع أنّ أفعالها بدت لها مختلفة الآن، ثمّ سمعت نفسها تضيف: «كان يجب أن أعلم أنّك لا تحبّ الحيوانات».

وتساءلت في سرّها بغضب ساخط: لِمَ لا يمكنني إبقاء فمي مطبقاً وأحافظ على تقدّمي عليه؟

ما الذي يملكه هذا الرجل ليدفعها إلى قول أشياء سخيفة؟ فعندما يكون موجوداً، تسيطر عليها حاجة ملحة لإثبات أنها أكثر أنانية وسطحية ممّا

يظنها.

ـ أنا أحبّ الحيوانات. في الواقع، أنا أفضلها على بعض الناس أحياناً، خاصة على النساء المجنونات والغبيّات.

تملك كايتي عادة إجابة جيدة ومناسبة لكل الأوضاع. لكنّها شعرت بإحراج عميق عندما امتلأت عيناها بالدموع لدى سماعها هذه الإهانة التي تستحقها في نظر نيكوس. ويبدو أنها ليست الوحيدة التي شعرت بالانزعاج فقد اكتشفت بالصدفة نقطة ضعف أخرى عند نيكوس. فقد بدا حائراً أكثر منها أمام دموعها. فتنحنح وقال: «لم أقصد...».

وبينما كان يتكلّم، بدا أنه لاحظ، للمرة الأولى، اليد التي مدّها باتجاه كايتي. حدّق إليها للحظة وكأنّها ليست له، فيما ظهرت الصدمة على ملامحه القاتمة. وبسرعة أعاد يده إلى جانبه وخلا وجهه من أيّ تعبير. أخذ نفساً عميقاً، وأعطى التعليمات لسايدي: «خذي كاترينا إلى الخارج وانتظرا رجال الإطفاء».

أخرجت سايدي من جيبها مصباحاً وأعطته إياه، فشكرها. فقالت كايتي: «لا أحتاج أن يأخذني أحد إلى أيّ مكان».

وعندما لاحظت أنّ كلماتها وقعت على آذان صمّاء، رفعت صوتها وأكملت: «لا يمكنك أن تعود إلى الداخل».

ـ أنظري إلى الجانب المشرق... إن لم أخرج من هناك، فستكونين حرّة للزواج بتوم.

ارتعبت كايتي عندما استدار ودخل إلى شقتها المملوءة دخان. ولو لم تمسك بها سايدي، لتبعته إلى الداخل.

ـ لا تقلقي، فهو ليس أحمق. كان يحاول أن يغضبك ليس إلّا.

قالت لها سايدي ذلك لتهدّئها، بينما كانت تراقب وجهها ثم أضافت: «لن يخاطر بحياته».

بدت هذه الثقة لكايتي في غير محلها، خاصة أنّها صادرة عن شخص تعرّف إلى نيكوس للتوّ. فقالت، وكأنّها تحاول إقناع نفسها: «لست قلقة.

حسناً، كنت لأشعر بالمثل نحو أيّ شخص آخر. لا أصدّق أنّه اتهمني أنا بالمخاطرة بحياتي. ماذا يحاول أن يثبت؟».

فأجابت سايدي بتوتّر: «هل تمانعين إن تابعنا الحديث في الخارج؟».

ـ ماذا؟ نعم طبعاً...

ألقت كايتي نظرة أخيرة نحو باب شقتها، وتبعت سايدي إلى الأسفل.

ـ ماذا قصد عندما قال...؟

ـ ظننتك قلت إنّك سمعت رجال الإطفاء...

قاطعت كايتي صديقتها بينما كانت تبحث بعينيها عن أيّ أثر للأضواء على الطريق. فأجابت سايدي معتذرة: «ظننت أنني فعلت... عندما قال ذلك الرجل...؟».

ـ نيكوس.

تلفّظت كايتي اسمه وأفكارها مشتتة.

ـ عندما قال نيكوس... يا إله السماوات!... نيكوس؟!...

كادت كايتي تسمع ذقن صديقتها يرتطم بصدرها عندما استوعبت الاسم، فأكملت: «أتقصدين أنّه الرجل الذي...».

ـ الرجل الذي تزوّجته، نعم. لا أعلم كيف يمكنك التفكير بذلك بينما يشتعل منزلك بسببي. من المفترض أن تصرخي بوجهي وتهدّديني.

ـ سأفعل إن كان ذلك يريحك. ولكن أولاً، أخبريني كلّ شيء عن هذا الرجل الرائع.

ـ ليس لديّ ما أخبرك به.

حاولت كايتي تجنّب موضوع نيكوس بالتحديد، مع أنّها لم تكن تملك الخيار بسبب ما آلت إليه الأمور. خياراتها محدودة في باقي الأمور أيضاً، فالأمل بالزواج من توم بات الآن حلماً بعيداً.

ـ لقد ظهر هذا المساء. يبدو أنّه وتوم ارتادا الجامعة ذاتها.

ـ لا أصدّق ذلك! كم هذا غريب! لا بدّ أنّ الأمر بدا لك غير منطقي!

ـ لم أواجه في حياتي شيئاً غير منطقي لهذه الدرجة!

ـ هل كشف الأمر لتوم؟

ـ ليس بعد، ولكنّها مسألة وقت ليس إلا.

نظرت كايتي وراءها للمرة المئة في الدقيقتين الأخيرتين، وحدّقت إلى المنزل: «ألا يفترض أن يكون قد خرج؟».

حاولت سايدي تهدئتها: «مرّت دقيقتان فقط يا كايتي».

ثمّ قالت مازحة: «أتعلمين؟ لا أعرف كم دفعت له، ولكن لو أشيع أنه معروض للبيع، لارتفع السعر كثيراً!».

فأنكرت كايتي بحرارة: «لم أشتره!... حسناً، ليس بهذه الطريقة. كان ذلك اتفاق عمل ليس إلاّ».

هزت سايدي كتفيها غير مبالية: «حسناً. هل أنت متأكّدة من أنكما لم تلتقيا منذ يوم الزواج؟».

ـ لا أظنّني كنت لأنسى.

لا، فاللقاء مع نيكوس لايكس يترسّخ في الذاكرة إلى الأبد مثل...؟

ـ هذا غريب! فأنتما لا تتكلمان أو تتصرفان مثل شخصين التقيا للتوّ...

لم تضطرّ كايتي للإجابة لأنهما في تلك اللحظة بالذات سمعتا صفارة مميّزة ومنتظرة. فراحت كايتي تقفز في مكانها، والدموع تتساقط بصمت على خدّيها، وهي تصرخ: «لقد وصلوا!».

راقبت المرأتان سيارة الإطفاء تقف أمام المنزل، ويترجّل منها عدة رجال.

ـ هل أخبرتك يوماً عن انجذابي لرجال الإطفاء؟

لاحظت سايدي تعبير كايتي المصدوم، فبدت مرتبكة: «حسناً، أنت لديك نيكوس. لا يمكنك أن تبخلي عليّ برجل إطفاء».

فأجابت كايتي بحدّة: «ليس لدي نيكوس».

ـ حسناً. ولكن تحلي بروح رياضية يا كايتي. أنا أحاول أن أتسلّى.

أشارت إلى أحد رجال الإطفاء وأكملت: «هذا الرجل يبدو رائعاً...».

لم تعد كايتي تسمعها... ركضت باتجاه رجل الإطفاء وأمسكت بذراعه وحاولت أن تتكلّم... لم يكن الوقت مناسباً لكي تخسر قدرتها على الكلام. لكن رجل الإطفاء معتاد على التعامل مع أشخاص يرتعدون من الخوف، وهالة الهدوء التي تشعّ منه ساعدت كايتي على النطق. فأشارت نحو نافذة الطابق العلوي وقالت له: «ثمة رجل في الداخل».

ـ هل مضى على وجوده هناك وقت طويل؟

ابتلعت كايتي ريقها ومرّرت أصابعها في شعرها الطويل بدون انتباه، فجعلتها رائحة السخام الصادرة منه تشعر بالدوار. لا بدّ أنّ هذه الرائحة الكريهة ذاتها تفوح من جسمها كله. أمّا بالنسبة إلى شكلها... فقالت لنفسها: يا إلهي، كم أنا سطحية! أفكّر في شكلي وسط كلّ ما يحدث! ثمّ أجابت الرجل بصوت مرتفع: «لا أدري... يبدو وكأنّه هناك منذ وقت طويل».

ارتعشت شفتاها، وفركت وجهها قبل أن تعترف: «إنها غلطتي. أظنّني تركت المكواة مشتعلة... عرفت أنّني نسيت شيئاً، والآن قتلت ن... نيكوس وألكساندر».

سألها بحدة: «في الداخل أكثر من شخص؟».

فأتت سايدي لنجدتها وفسّرت للمرة الثانية: «ألكساندر هو هرّ».

ثمّ قالت لكايتي: «سيكون بخير يا كايتي. لم يبدُ لي رجلاً يسهل قتله».

ـ هل هناك طريقة لدخول المنزل غير الدرج؟

ـ هناك سلّم الطوارىء في الجهة الأخرى من المنزل.

لم تبال كايتي باليد المشجّعة التي أحاطت بكتفيها.

ـ يا لي من أنانية! أعدته إلى الداخل من أجل...

بدأت شفتاها بالارتجاف بينما تأمّلت بخوف نتائج أفعالها. فجأة،

سُمع دوي عظيم وانفجرت نافذة غرفة نومها. فمدّ رجل الإطفاء يديه ليحمي المرأتين من قطع الزجاج المتساقطة ثمّ قال لهما: «من الأفضل أن تبتعدا قليلاً وتنتظرا سيارة الإسعاف».

رأت كايتي فمه يتحرّك، وسمعت كلماته. لكنّها شعرت بأنّها في حفرة سوداء. شعرت بالضعف.

هزّت سايدي رأسها موافقة ثمّ دفعت كايتي إلى الخلف بينما كان رجل الإطفاء الضخم يعطي التعليمات لرجاله وسط الصراخ.

نظرت سايدي بقلق إلى وجه صديقتها النحيل. فقاومتها كايتي وأبعدتها عنها، بينما راحت تنظر بعينين ملؤهما الرعب إلى ألسنة النار البرتقالية اللون المتصاعدة من النافذة. فاقترحت سايدي بلطف: «هيا يا كايتي! علينا ألا نقف في طريقهم. جارتنا السيدة جايمس تحضر القهوة».

لفّت كايتي ذراعيها حول جسمها بقوّة وراحت تذرع الحديقة ذهاباً وإياباً. وتحت طبقة السخام التي تغطي وجهها، بدا لون بشرتها أبيض كالموتى. قالت: «لقد مات أليس كذلك؟ أعني، إن كان في الداخل لا بدّ أنّه مات، أليس كذلك؟ لا يمكن أحد أن ينجو من هذا الانفجار».

هزّت سايدي كتفيها بعجز وقالت: «لا أعرف حقاً».

صدر من بين شفتي كايتي الشاحبتين صوت حاد مكبوت قبل أن تتمكّن من منعه، ما جعل سايدي ترتجف خوفاً عليها.

بعدئذ، تتالت الأحداث بسرعة جنونية، لدرجة أنّ سايدي لم تعد تعرف ماذا تفعل. فصرخت برجال الإطفاء تحذّرهم، بينما كانت كايتي تركض نحو باب المنزل بسرعة جنونية، وكأنّ الشياطين تلاحقها.

لم تكن كايتي لتتمكّن من بلوغ الباب، فرجلا الإطفاء يقتربان. لكن قبل أن يصلا إليها، تعثّرت ووقعت. وإذا بها تصرخ من شدّة الألم في كاحلها الذي التوى بطريقة سيئة، فقالت لنفسها: هذا ما كان ينقصني: كاحل ملتوٍ أو بالأحرى مكسور، نظراً للطريقة التي تجري بها الأحداث اليوم!

مسحت كايتي الدموع عن وجهها، دموع الشفقة على الذات ثمّ

عضّت شفتها السفلى، وركّزت جهودها للوقوف على قدميها.

حاولت أن تقوم بخطوة، وتنفّست الصعداء؛ فكاحلها آلمها، ولكنّه تحمل وزنها. سارت وهي تعرج نحو شجرة واستندت إلى جذعها، ثمّ نظرت نحو المنزل.

فكّرت ملياً، ما الذي دفعها للقيام بهذا العمل البطولي؟ وكأنّها قد تفعل شيئاً لا يستطيع رجال الإطفاء القيام به! عندئذ، أدركت ما الذي دفعهم لتحويل انتباههم عنها: رجل طويل يظهر من الدخان. فتنفّست الصعداء: «الحمد لله!»

راقبت بعينين دامعتين مسعفين يتوجّهان نحو نيكوس. ثمّ بدا لها أنّ الضجة القوية تتحول إلى أنين خافت، والوجوه المتسارعة تصبح أكثر بطئاً. قلبها وحده استمرّ في الخفقان بسرعة، حتى أنّها كانت تشعر بكلّ شهيق في صدرها. رفعت يدها إلى رأسها المخدّر وهي تبذل جهداً كلما حاولت التنفس. فقالت لنفسها: إن فقدت وعيي الآن، فسيتّهمني بادّعاء ذلك لأسرق لحظة المجد منه.

ولكنّها لم تفقد وعيها فقد وجد التوتّر طريقة أكثر واقعية ليظهر بها.

ـ أظنني سوف أتقيّأ!

لم توجّه كلامها لشخص معيّن، بل قامت بذلك بصمت، ولم يلاحظ الأمر أحد. فقد كان الجميع يحيط بنيكوس. ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخطة ولكن راضية، بينما اتّكأت من جديد على جذع الشجرة وهي تقول في لنفسها: إنه يعرف كيف يحوّل نفسه إلى بطل... هذا دور وُلِدَ لكي يلعبه.

***

٥ ـ لا تتحدّي القدر

بدا واضحاً أنّ البطل لم يكن مسروراً بلحظة مجده.

ـ أنا بخير.

تبع السعال إعلانه فأفقده مصداقيته. تجاهل النصيحة بالتنفّس بعمق، وأبعد قناع الأكسجين الذي كان أحدهم يحاول وضعه على وجهه وأضاف: «لست بحاجة إلى هذا!».

فشرح له المسعف بصبر: «ولكنّك تنشّقت الكثير من الدخان».

وبعد بضع لحظات من الجدال غير المجدي، توصّلا إلى نوع من الحلّ، فقال نيكوس: «أعدك أن أرافقك إن منحتني بضع لحظات على انفراد مع زوجتي».

أشار نيكوس إلى المرأة الواقفة وحدها في الحديقة، ثمّ ندم على ذلك على الفور، لأنها لم تكن بحاجة لأيّ تعزية على الإطلاق. بل بدت بحال جيدة جداً. فارتجل قائلاً: «أظنّها مصابة بصدمة».

أمل نيكوس أن تشكّل إجابته تفسيراً كافياً لواقع أنّ «زوجته» كانت قادرة على احتواء سرورها لخلاصه من الحريق. ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، ثمّ هزّ كتفيه. على الأقلّ هي ليست مدّعية.

ـ حسناً، لبضع لحظات فقط...

هل وجد الآخرون أنّه من الغريب ألا تشارك زوجته في لجنة الترحيب؟ ألّا تكون قد أسرعت لترتمي بين ذراعيه، فيما دموع الفرح تنهمر على خديها؟ لم يفكر نيكوس بهذه المسألة طويلاً. فهو لا يهتم أبداً برأي الآخرين

بتصرفاته، غير أنّ تلك الصورة بقيت عالقة في ذهنه. ليس لأنه يفكر بتأثيرها على الآخرين، بل لأنّ تأثيرها عليه هو ما استحوذ على تفكيره.

وبينما كان يقطع المسافة بينهما، توردت وجنتاه تحت السواد الذي يغطّيهما. وإن ظنّ من يراقبهما أنّ اللون ناتج عن النار التي نجا منها للتوّ، فهو مخطىء.

رفعت كايتي ظهرها عن جذع الشجرة ودفعت خصلة شعر كثيفة عن وجهها، ثمّ قالت: «وجدتني إذاً..».

هزّ نيكوس رأسه. سؤالها جعله يدرك أنّها حتى لو لم تفعل شيئاً لجذب انتباهه، ففي داخله رادار حدد مكانها منذ اللحظة التي خرج فيها من المبنى.

عدا طبقة السخام القاتمة التي تغطي وجهه وثيابه، بدا أنه لم يتأذّ جرّاء اقترابه من النيران. في الواقع، كان يشعّ حيوية تكاد تكون غير لائقة. خطرت لكايتي فكرة أنه طبيعي ومرتاح أكثر من أي وقت آخر. ارتفعت إحدى زوايا فمه حين التقت عيونهما، فشعرت كايتي بالغضب يولد في داخلها... من الواضح أنّه لم يفكر حتى في أنّها عانت الأمرّين خلال اللحظات الأخيرة بسبب مناورته السخيفة.

لم تعرف إن كانت ترغب في ضربه أم معانقته. لم تكن ترغب في معانقته بالمعنى الحرفي للكلمة بالطبع، لأنّ ذلك يعني... وتقلصت معدتها بقوة وتوقفت أفكارها بقسوة.

ابتلعت ريقها بصعوبة. لم تستطع منع الصورة من التكوّن في رأسها. هزت رأسها وأخذت نفساً عميقاً مرتعشاً. لكنّ الأوان كان قد فات، فسلسلة الأحداث بدأت بالفعل.

أغمضت عينيها بينما أخذ الدفء يغزو جسمها بدءاً من ركبتيها، حتى أصبح جسمها كله يطوف في وهج ذهبي، فحبست أنفاسها وأمرت النيران المستعرة في داخلها بالخمود.

لم تستطع كايتي أن تنكر أنها رغبت بذلك العناق، وقد أحرقتها تلك الرغبة للحظات. شعرت بالذنب لأنها لم تترقّب أبداً عناق توم بهذا الشغف.

حاولت أن تفهم ما الذي يحدث لها ولماذا يحدث. لا بدّ أن هورموناتها تشنّ هذا الهجوم عليها لأنها أهملتها.

أو ربما لم تكن الهورمونات هي السبب... فلعلها تعاني من صدمة ما بعد الحادثة؟ قد يكون محور ذكرياتها أمر لم يحصل بعد... بعد؟ هذا خطأ لغوي ليس إلّا.

كلما فكرت في الأمر، اقتنعت أكثر بأنّ هذه الأحاسيس الرائعة التي تنتابها ناتجة عن اقترابها من الموت. الاقتراب الذي يدفع المرء ليفكر: كان من الممكن أن نموت، ولكننا لم نفعل، لنستفد إذاً من هذه الفرصة الثانية!

أدركت كايتي أنّ نيكوس يتوقّع منها أن تعلّق، فسمعت نفسها تقول بغباء: «أنت لم تمت».

لعل قولها سخيف، لكنه أكثر أماناً من التصريح بما يدور في خاطرها.

ـ أنا آسف. أصبت بحروق طفيفة إن كان هذا يسعدك.

شعرت كايتي بالإهانة، فأخذت نفساً عميقاً، وأجابت: «لا تطلق الدعابات!»

فأحنى نيكوس رأسه بتأكيد: «لكن هذا صحيح. أنظري إلى أهدابي».

ـ لا أريد أن أنظر إليها.

أجابت بحدّة، ثمّ أشاحت بنظرها عنه. في الواقع، لم يكن النظر إلى أيّ قسم من جسمه فكرة سديدة، مع أنها لم تكن تملك الخيار، إلا إذا أرادت أن تبدو فظة للغاية. ثمّ تابعت بحدّة: «قد تكون هذه مزحة بالنسبة إليك، ولكن كيف تظنّني سأشعر إن أثقل موتك ضميري؟ لا أظنّك فكرت بذلك أصلاً، أليس كذلك؟ لا، بالطبع لا. كنت منشغلاً للغاية بتمثيل دور رجل الساعة. وتفكّر فقط في التأثير بالجمهور!».

تعثّرت الكلمات في فمها، وفكرت أنّ هذا ليس عادلاً! فالرجل يتسنّى له أن يقوم بأعمال بطولية بينما تجبر المرأة على ملازمة المنزل ورعاية الأطفال، لأنها مخلوق رقيق وضعيف.

إن أراد توم القيام بأي عمل متهوّر يهدّد حياته، فهي سوف ترافقه.

ولكن بدا لها أنها لن تضطرّ أبداً للحاق بتوم إلى داخل مبنى يحترق لإنقاذ هرّ، إذ سيترك الأمر لشخص متخصّص.

اضطربت كايتي عندما لاحظت أنّ نيكوس يرمقها بنظرة مركزة ثاقبة. سألها: «هل خفتِ عليّ؟»

حملت كلماته في طيّاتها صدمة شخص قام لتوّه باكتشاف رائع. فناضلت لتهدّىء تنفسها اللاهث، ثمّ أجابت: «كنت... قلقة... لشعرت بالقلق على أي شخص آخر في مثل هذه الظروف. لكني أعلم الآن أنّ مخاوفي لم تكن في محلها، إذ يبدو أنّ لك سبعة أرواح».

تفحّصت نظرتها المتعضة جسمه بالكامل، فلم تجد أيّ أثر للجروح، ما عدا الخدش الدامي في صدغه. لكن حتى لو خرج سالماً، فإن رباطة جأشه بعد حادثة كهذه أمر غير طبيعي. ما الذي يفقد هذا الرجل هدوءه؟ إن طالبته بعناق، ستفقده صوابه على الأرجح.

اعترف نيكوس بضحكة صغيرة ساحرة: «أشكر لك قلقك عليّ، لكنه لم يكن في محله. فأنا لم أواجه خطراً كبيراً».

تذكّرت كايتي على الفور تلك اللحظة الرهيبة عندما انفجرت النافذة. فعاودها الإحساس بالخوف، إذ عادت لتعيش لحظة الشلل تلك.

ـ هل أنت بخير؟

ـ ولمَ لا أكون بخير؟

عندئذ أخبرها نيكوس ما حصل بالتحديد: «تمكنت من إيجاد سلم الطوارىء بفضل ألكساندر الذي كان يجلس فوقه ويموء. بالمناسبة، أفترض أنّ هذا ألكساندر».

فتح قميصه، فظهر جزء من صدره العاري، وقدّم لها هراً كبيراً وسخاً. أدرك الهرّ أنّ صاحبته المحبّة سوف تضمه إلى صدرها، فقفز في الفضاء واختفى بين الأعشاب.

أطلقت كايتي ضحكة هستيرية وقالت: «هذا ألكساندر بالفعل. إنه فريد من نوعه. يفاجئني أنه سمح لك بحمله».

ـ لم تعجبه الفكرة في البداية، لكنه اقتنع أخيراً.

قال نيكوس ذلك بصوت جاف، ثمّ مسح وجهه، فظهر جرح طويل قذر.

ـ هذه معجزة. فألكساندر ليس مطيعاً جداً. قال الطبيب البيطري إنه سيصبح أقلّ عدوانية إن عالجه، لكنني لم أستطع تركه يفعل.

بدا في عيني نيكوس الثاقبتين نظرة جعلتها تتساءل إن كان يعاني هو أيضاً من مشكلة هورمونات. هذا الاحتمال جعلها تفقد تركيزها للحظة.

فسألها نيكوس مندهشاً: «يعالجه؟»

قالت كايتي في سرّها إنّ رجلاً نجا لتوّه من الموت لا يمكنه أن يهتم لهذه المسائل. مثّلت بأصابعها حركة المقصّ. وكرد فعل على حركتها، ازدرد نيكوس ريقه بقوة، تماماً كما توقعت.

فشرحت له بطريقة عملية: «لا أريد أن أكون مسؤولة عن ازدياد عدد الهررة، لذا أبقيه محبوساً طوال الليل».

شعرت من الغشاوة التي ظهرت على عيني نيكوس أنه لم يكن يودّ معرفة تلك التفاصيل. لم يبدُ عليه الملل، لا، ولكنه بدا أكثر... شعرت بارتعاش. لعلها أخطأت التقدير، أو أن فكرة العناق ما زالت تدور في رأسها. لكن فيما هما واقفان هنا يتكلمان عن الهررة، كانت محادثة أخرى لا علاقة لها بالكلمات تدور بينهما.

عادت عيناها للمرة المئة إلى عضلات صدره القوية، فاقترحت عليه بصوت أجش: «ألا تظنّ أنه من الأفضل أن تقفل قميصك؟ قد تصاب بالبرد».

وضع يده على صدره وأجاب: «في الواقع، أشعر بالدفء. ماذا عنك؟»

تنهّدت بقوة. لا مجال للشك هذه المرة في المعاني المبطّنة لسؤاله البريء. لو لم تشعر كايتي بأنّ مشاعر غريبة سيطرت عليها، لواجهته بحدّة بسبب مغازلته المشينة... مغازلة؟ كانت هذه الكلمة بريئة جداً بالنسبة لأسلوبه

الكلامي المثير.

فأجابته، وفي عينيها نظرة تحدٍ: «أنا بخير. أنا آسفة حقاً بخصوص وجهك».

ثمّ أكملت في سرّها: آسفة حقاً لأنه وسيم لهذه الدرجة.

ـ سوف أنجو.

مدّ يده فجأة وأخرج من شعرها ورقة شجر. أما هي، فتراجعت نحو الجذع كغزال خائف يطارده ذئب. راح قلبها يتخبط بقوة عندما أسند يده على الجذع فوق رأسها. إن انحنى أكثر سيتلامس جسداهما... فبدأت أنفاسها الضعيفة المؤلمة تصبح مسموعة.

ـ ألم تصابي بأي أذى؟

إنه لا يهتمّ حقاً بجوابها. كان عليها أن تتكلّم بكل بساطة، ليس فقط لتثبت له أنه لم يؤثر فيها، بل لتطرد الصور المثيرة من ذهنها أيضاً. لكنها لم تنجح في أي من الأمرين. فقد بدا صوتها الضعيف المرتجف وكأنه آت من بعيد. أما بالنسبة لانزعاجها، فقد كانت مجنونة! تطلب الأمر إرادتها بالكامل لتمنع نفسها من وضع خدها على راحة يده القريبة من وجهها.

ـ سيد لايكس، عليك حقاً أن ترافقنا الآن. يجب أن تجري بعض الفحوصات. وزوجتك أيضاً.

ثمّ التفت المسعف نحو كايتي وقال لها: «فهمت من صديقتك أنك كنت في المبنى في وقت سابق».

تطلّب الأمر عدة ثوانٍ قبل أن تفهم كايتي ما يقوله الرجل ولمن يوجّه الكلام: «نعم، لكنني بخير».

زوجة، كانت متأكّدة من أنه قال زوجة. رمقت نيكوس بنظرة اتهامية من عينيها الزرقاوين القلقتين، فأجابها بابتسامة بريئة: «أنا على خير ما يرام».

لعل التوتر بينهما اختفى، لكن كايتي كانت تشعر أنّه ما زال ينتظر الظروف المناسبة ليظهر من جديد... فصمّمت على عدم السماح له بذلك.

استمرّ نيكوس بالنظر إليها بعينين تشعان مكراً، ثمّ قال: «لندع الأطبّاء يقررون هذا حبيبتي».

ـ زوجك محقّ. من الأفضل دائماً التأكد، خاصة أنك وقعت. هل تأذّيت؟

ـ وقعتِ؟

سألها نيكوس ليبدو بنظر الجميع زوجاً مهتماً بزوجته. فأكّد له المسعف: «كانت سقطتها مؤلمة».

ثمّ أضاف متوجّهاً بكلامه إلى كايتي: «الدخول إلى مبنى مشتعل ليس بالفكرة الجيدة».

ـ عدت إلى المبنى؟

هزت كايتي رأسها، وقد أدهشها غضبه: «كلا، لم أعد».

ـ وقعت قبل أن تتمكّن من الوصول. سرعتك مثيرة للإعجاب، سيدة لايكس. لن أجرؤ على التسابق معك.

قال المسعف كلماته الأخيرة على سبيل المزاح. لكن نيكوس لم يعتبر كلامه مضحكاً، بل استمرّ بالنظر إليها غير مصدّق. فقالت كايتي بصوت ضعيف: «لم أكن أفكّر».

فأجابها المسعف بلطف: «لا تقلقي بهذا الشأن. لا يستطيع المرء أن يفكّر بوضوح عندما يعلم أنّ الشخص الذي يحبه محتجز داخل مبنى مشتعل. رجال الإطفاء يعرفون هذا».

لم تعرف كايتي أين تنظر. إلى أي مكان، ولكن ليس إلى نيكوس!

ـ لطالما كانت كاترينا امرأة مندفعة، أليس كذلك حبيبتي؟

جعلتها نبرة التهكّم في صوته تعرج. فعلت ما بوسعها لتخفي عرجها، لكنها لم تنجح. فقال لها المسعف بقلق قبل أن تقوم ببضع خطوات: «لقد أذيت قدمك!».

ثمّ نادى زملاءه: «السيدة بحاجة إلى نقّالة».

وضعت كايتي يدها على ذراعه قائلة: «أرجوك، لا أريد نقالة. أفضّل

أن أمشي، لا شيء خطير».

شعرت بالانزعاج حين نظر المسعف إلى نيكوس الذي وافق على طلبها بصفته زوجها، ثمّ ابتعد وتركهما يتوجّهان وحدهما إلى سيارة الإسعاف.

أمر لا يصدّق! إنها ليست زوجته فعلياً. ولكن لو كانت كذلك، لتحدّت بالتأكيد هذا التمييز الذي يجعلها بحاجة لموافقة زوجها... وكأنها ليست قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها.

أطاعت كايتي إحدى تلك النزوات غير الحكيمة، ورفعت رأسها. فالتقت عيناها للحظات قليلة بعينيه القاتمتين ما جعلها تلاحظ أنّ نيكوس غاضب جداً. فاعتبرت كايتي أنّ تصرّفه شاذّ حقاً. كيف تجرّأ على إخبار الجميع أنها زوجته؟ أما بالنسبة للصورة التي وصفها بها المسعف بحماس، صورة المرأة التي اندفعت بطيش لتنقذ زوجها، فقد جعلتها تشعر برغبة في الموت من الإحراج!

ـ اتكئي عليّ.

رغب نيكوس في خنقها. لكنّه أجبر نفسه على وضع ميوله الطبيعية جانباً، وتقديم المساعدة لها، بعد أن راقبها تعرج متألمة لبضع خطوات.

ـ أفضّل أن أزحف على يديّ وركبتيّ!

صفر الهواء من بين أسنانه عندما أطلق زفيراً قوياً وأجاب: «كما تشائين».

لم يأخذ أبداً بعين الاعتبار إصابتها وهو يكمل طريقه. لم تتوقع كايتي أن يهتمّ ولم ترده أن يفعل، ولكن كان يصعب عليها أكثر فأكثر المحافظة على الابتسامة المتجهّمة على شفتيها مع كلّ خطوة.

ـ إذاً، قلقت عليّ كثيراً، حتى أنّك أردت المخاطرة بحياتك لإنقاذي؟

أطلق نيكوس هذه الملاحظة بصوت تهكّمي، فأصبحت معنويات كايتي في الحضيض. ها هي أسوأ مخاوفها تتحقق. هذا ما كانت تخشاه... أن يفكّر في مشهد الإنقاذ الطائش، ويستنتج أنّها تصرّفت بهذا الشكل لأنّها تكنّ له مشاعر خفية. هل يتوقّع أن تقع غالبية النساء في غرامه؟

حاولت بفعل حاجة ملحّة أن تثبت أنّها لم تكن تنتمي إلى تلك الجموع التي تكرّمه.

ـ ليس الأمر كذلك...

توقفت عن الكلام للحظة وتنهّدت منزعجة. كيف يمكن للمرء أن يفسّر تصرّفه بطريقة ما إن كان هو نفسه لا يعرف؟ فاعترفت بضعف: «لم أفكّر..».

فأجابها متجهّماً: «لا أشكّ في ذلك. خلال السنوات السبع الماضية، عندما كنت أفكر فيك، كنت أتصوّر امرأة داهية قاسية، بإمكانها أن تكسر القواعد بلا رحمة لتنال مرادها، بالرغم من مظهرها البريء. باختصار، امرأة قادرة على العناية بنفسها».

مرّر يده في شعره بعصبية ثمّ أكمل: «هذا ما توقّعته، أتفهمين؟ ولكن على ماذا حصلت؟».

استقرّت نظرته الغاضبة على رأسها الذي بالكاد يصل إلى مستوى كتفه وقال: «أنت!..».

هزّ رأسه، وعلا وجهه تعبير يدل على نفاد الصبر. ثمّ بدأ يعدّ الخصال التي اكتشف أنها تتمتع بها: «لست فقط مزعجة لكثرة آرائك..».

فرفعت كايتي عينيها المدهوشتين إلى وجهه الغاضب وقالت في سرّها: يا إلهي! لا داعي للقلق. إنه لا يعتقد أنني مغرمة به، بل يظنّني مجنونة!

رفع يده وقال بغضب: «لا تقاطعيني! أنت عاطفية، ولا تملكين حسّ المحافظة على الذات أبداً. أنا رجل صبور...».

اعترف بذلك بدون أيّ أثر للمزاح فضغطت كايتي على شفتيها لتمنع نفسها من الضحك، ولكن بعد فوات الأوان. فرمقها نيكوس بنظرة غاضبة، في حين بدا واضحاً أنّه يحاول السيطرة على طبعه. وقال لها بوحشية: «لقد تساهلت معك كثيراً».

فأجابته: «هذه ضحكة..».

ثمّ توقفت عن الكلام لتطلق صرخة مكبوتة عندما حملها بين ذراعيه

بدون سابق إنذار، وأكمل طريقه من دون أن يتفوّه بكلمة واحدة. فتمتمت بغضب: «أنزلني على الفور!»

بالرغم من نحافتها، لم تكن كايتي امرأة قصيرة. لكنّه حملها بين ذراعيه القويتين من دون أن يشعر بالثقل، على ما يبدو.

ـ أنزلك؟ وأراك تترنّحين إلى جانبي بهذا الشكل؟

استعر الغضب داخل كايتي بصمت، واضطرّت لوضع يديها حول عنقه كي تثبّت نفسها. وسمحت له بأن يحملها إلى سيارة الإسعاف بكرامة. هل تملك خياراً آخر؟

كانت سايدي تنتظرهما على الدرج، فسألتها كايتي بغضب: «لِمَ أخبرتهم أنني كنت داخل الشقة؟»

دهشت سايدي للنبرة التي كلمتها بها فتبعتهما وأجابت: «آسفة، ولكنهم سألوا».

ـ آسفة، لم أقصد أن أصبّ غضبي عليك. لكنّ هذا الرجل حية استغلالية.

قالت كايتي ذلك، وهي تحملق بغضب بأذن نيكوس. تغافل نيكوس عن ملاحظتها، وأجلسها على مقعد، ثمّ وقف بحذر. فتابعت بصوت عالٍ: «لن أثق به طالما أستطيع الاستغناء عنه».

نظرت سايدي باتجاه نيكوس بقلق، فبادرها بابتسامة ساحرة للغاية، كان لها تأثير فوري على سايدي.

ـ حية مثيرة.

جعلتها هذه الملاحظة تستحق ابتسامة تسلية من نيكوس الذي أحنى رأسه وقال: «شكراً لك، واسمحي لي أن أقول إنّ وردة انكليزية أصيلة مثلك تقدَّر جداً في بلدي».

بدأت كايتي تقول: «يا له من...».

فرمقتها سايدي بنظرة غاضبة وقاطعتها متورّدة: «لا تفسدي الأمر يا كايتي».

ثمّ ضحكت ورجت نيكوس أن يتابع. فنظرت كايتي إليها غير مصدّقة. صديقتها تغازله، وبطريقة جيدة!

ـ هل قال لك أحدهم إنّك امرأة جميلة؟

ـ غالباً ما يقولون لي ذلك.

اعترفت سايدي بذلك، ثمّ لاحظت أنّ فريق الإسعاف بدأ يفقد صبره، فتابعت: «من الأفضل أن أذهب. اتّصل بي لاحقاً».

قالت لها كايتي بقلق: «أشعر بالسوء لتركك تعالجين هذه الفوضى وحدك».

فأجابتها سايدي بفرح بينما كانت تودّعها: «أنت تعرفينني، أحبّ التحدّي».

ـ صديقتك لطيفة جداً.

ـ إنها تحاول الشفاء من طلاق بشع للغاية. لذا دعها وشأنها. فهي لا تحتاج أبداً إلى دجال سافل يلاطفها.

ـ بإمكاني أن أمضي بعض الوقت مع امرأة بدون التفكير بإقامة علاقة معها.

هزأت كايتي من كلامه ما جعل نيكوس يبتسم، ثمّ قال: «لم أصعد في سيارة إسعاف من قبل. خاصة برفقة امرأة».

أضاف ذلك بمكر فأجابته كايتي: «مضحك جداً. أظنّ أنك تتنقّل في سيارات ليموزين فخمة».

وفكرت في سرّها في أنّ أحداث الليلة ستشكّل تسلية جيدة له ولأصدقائه لمدة أسابيع.

ـ كلا. في الواقع، أنا أقود هيليكوبتر خاصة عندما يكون ذلك ممكناً. إذاً، هل تظنّين حقاً أنّني وسيم؟

ـ كانت تلك صورة مجازية.

في الواقع، لم يكن وسيماً فقط بل رائعاً. وفكرت في سرّها كيف يمكن أن تؤثر فيها إلى هذا الدرجة ملامح شخص ما؟

حاولت إيجاد كلمة لوصفه... لا يُنسى... هذه كلمة مستهلكة للغاية. لكن في هذه اللحظة، هو يستحقها بالكامل. اعترفت أنّها لن تنسى أبداً هذه الصورة، ونظرت إلى يديها في حضنها.

ـ إن استمرّيت بالتنفّس بهذا الشكل، فسيظنّ المسعفون أنك بحاجة إلى أوكسيجين.

اضطربت كايتي عندما لاحظت أنه يراقب حركة صدرها السريعة. في الواقع، لم تكن كلمة اضطراب تعبّر حقاً عن المشاعر التي تخالجها.

وصل اضطرابها إلى درجة أنها لم تعد تعرف ما تشعر به الآن. حتى كلماتها بدت غير منطقية، لكنها قالت له في محاولة لتحويل نظره عن صدرها اللاهث: «لماذا قلت لهم إنني زوجتك؟».

ـ أنت زوجتي بالفعل.

فأشارت كايتي بضيق: «فقط عندما يناسبك ذلك».

لم تكن قادرة على معارضته لكنها شبه أكيدة من أنّ نيكوس ما كان ليعترف بزواجهما لو أنها ذهبت إلى مركز عمله وأعلنت ذلك أمام الجميع. ما لم تستطع فهمه هو سبب إعلانه ذلك الآن، بدون اهتمام. قد يوحي ذلك بأنّه رجل مستهتر، لكنها متأكّدة من أنّه لا يفعل شيئاً بدون سبب. لكن ما هو السبب يا ترى؟ أيمكن أن يكون هدفه إغضابها؟

خلال السنوات السبع الأخيرة، تدبّر أمره جيداً لينسى أنّه متزوّج. لذا يمكنها أن تنسى احتمال أن يرى أنها الزوجة المثالية له. لا شك أنه يخطّط لشيء ما. قالت له بازدراء: «لعلنا أجرينا المراسم ووقّعنا الأوراق، لكن الأمر يتطلّب أكثر من توقيع لأصبح زوجتك فعلياً».

ـ حقاً؟ وماذا يتطلب الأمر؟

ابتعدت كايتي عنه، فزاد ذلك من شعوره بالانتصار.

ـ يلزم الأمر... بحقّ الله، هلا توقفت عن ذلك؟

ـ أتوقّف عن ماذا؟

ـ هلا توقّفت عن النظر إلي... أنت تعلم.

ـ لا.

تنهّدت كايتي بنفاد صبر. لم تكن نظرة البراءة على وجهه مريحة.

ـ حسناً، ما رأيك لو تصرفت أنا كأني زوجتك فعلاً...؟

سُرّت كايتي لأنها أثبتت وجهة نظرها، وشعرت بالإحراج في الوقت ذاته. وفكّرت في أنّه من الأفضل تغيير الموضوع. غير أنّ نيكوس لم يكن على عجلة من أمره، فقال: «أظنّ أنني سأجد الأمر مثيراً للغاية».

حاولت كايتي أن تهدّىء تنفسها، ورفضت أن تدعه يلهيها، فقالت: «يتطلّب الأمر...».

ـ ماذا يتطلّب؟

كان فضوله يكبر بسبب التعبير الكئيب على ملامحها الرقيقة والدقيقة. فهزّت كايتي رأسها. لن تعرض فكرتها عن الزواج المثالي لأحمق مثله.

ـ هل تظنّين أنهم سيسمحون لنا بالبقاء في غرفة واحدة في المستشفى؟

فقالت بازدراء: «أظنّ أن هذا التعليق يعتبر مضحكاً في اليونان؟».

حاولت أن توقف سعالها ثمّ تابعت: «ليكن بعلمك، لن أشاركك أيّ غرفة، ولن أبقى في أيّ مستشفى».

هزّ نيكوس رأسه وأجابها: «ألم يقل لك أحد أبداً إنّه لا يجوز تحدّي القدر؟».

* * *

٦ ـ على فوهة بركان

سألتها الممرضة المسؤولة عن التصوير بالأشعّة: «هل أنت متزوّجة؟».

ثمّ نظرت باتجاه نيكوس وأكملت، مع شعور صغير واضح بالحسد: «نعم، بالطبع. ما هو تاريخ ميلادك؟».

ذكرت لها كايتي التاريخ، فتأكّدت الممرّضة من التفاصيل على الاستمارة وهزّت رأسها، ثمّ سألت: «هل يمكن أن تكوني حاملاً؟».

انتظرت إجابة كايتي فشعرت هذه الأخيرة بوجنتيها تتورّدان، إذ كانت تعي تماماً وجود نيكوس إلى جانبها. بعد فترة صمت صغيرة، هزّت رأسها وتمتمت إجابة كادت تكون غير مفهومة: «لا، لا يمكن».

أساءت الممرّضة فهم تردّدها، فقالت: «إن لم تكوني متأكّدة...».

فأجابتها كايتي بحزم: «أنا متأكّدة... لا يمكن أن أكون حاملاً. لم...».

فهزّت الممرضة رأسها متفهّمة ورمقت نيكوس بنظرة تساؤل: «فهمت... ما دمت متأكّدة...».

ـ كنا منفصلين.

اضطربت كايتي لسماع تطوّعه المفاجىء للشرح. وزاد اضطرابها عندما أمسك يدها ورفعها إلى شفتيه: «لقد عدنا إلى بعضنا مؤخراً».

وطبع في راحة يدها قبلة حارّة. وتبيّن لهما أنّ الممرّضة تحبّ النهايات السعيدة، إذ تنهّدت وقالت بعاطفية: «يا للروعة! هلا انتظرتني هنا للحظة سيدة لايكس؟ سأعود على الفور».

ما إن خرجت الممرّضة حتى انتزعت كايتي يدها المرتجفة ومسحتها في حضنها بقوة، كما لو كانت قادرة على إزالة لمسته عنها. ثمّ سألته ببرودة: «هل كانت هذه المهزلة ضرورية؟».

بدا لها أنّه لا يقاوم أيّ فرصة تسنح له ليضايقها ويحرجها. أم أنّه لم يستطع تحمّل الطعن برجولته؟ نعم، هذا أكيد!

ـ إذاً، لا تربطك بتوم علاقة عاطفية حميمة؟

جمدت كايتي في ردّ فعل دفاعي على سؤاله الذي فاجأها، ثمّ أجابته بثقة: «هذا ليس من شأنك».

لم تكن كايتي من الذين يستحسنون إقامة العلاقات قبل الزواج.

ـ ربما، وربما لا... فالحبيبان لا يفكران دائماً بمنطق عندما يقعان أسيري الشغف.

ـ ما تقوله هراء. لا أجد أبداً أيّ عذر للقيام بأفعال طائشة.

عبست كايتي عندما سمعت نفسها تتكلم بهذه الأخلاقية وهذا الجزم... كانت إجابتها جزءً من رد الفعل الذي يحرّكه فيها: فإن قال هو أسود، ستقول هي بأعلى صوتها: أبيض.

ارتسمت على شفتي نيكوس العريضتين المثيرتين ابتسامة صغيرة عندما لاحظ نظرة الذعر في عينيها. وارتفع جفناه، فوقعت كايتي أسيرة عينيه كفراشة يجذبها الضوء: «إذاً، أنت لا تعتبرين أنّ قمة الشغف تجعل الشخص، أو بالأحرى قد تجعلك تنسين... تنسين اسمك؟ تنسين أين تبدأين أنت وينتهي حبيبك...؟».

قال ذلك بصوت مخمليّ عميق، يصف وضعاً يتخطّى استيعابها للأمور، أمراً تشعر نحوه بانجذاب خطير. بمجرّد الاستماع إلى وصفه الرقيق المغري، شعرت بالحرّ والبرد في الوقت ذاته.

انزعجت كايتي من ردة فعل جسمها، بينما كانت عيناه الخبيرتان تتفرّسان في وجهها. فتحرّكت غير مرتاحة في مقعدها وقالت له بسخرية: «لا أود التفكير بهذا الأمر أساساً».

ـ ألا يمكنك تخيّل نفسك في وضع كهذا؟

أجابت كايتي بحدّة: «كلا!».

صرّت أسنانها، فيما هي تحاول بجهد أن تمنع عقلها من تجسيد الأفكار التي تكلّم عنها.

بدأ نيكوس يعتقد أنّها بأمسّ الحاجة إلى شخص يمسح نظرة التكبّر عن وجهها. لماذا لا يكون هو هذا الشخص؟ قدّم له على الفور صوت المنطق في رأسه لائحة بالأسباب التي تمنع حدوث ذلك. وبالرغم من ذلك، بقيت الفكرة تراوده.

ـ الطبيعة البشرية تجعل الحبيبين منجذبين بشغف إلى بعضهما البعض، بشكل يتخطى المنطق أحياناً.

وراح يتفرّس في وجهها المصدوم، فبدا لها أنّ النقاط الفضية في عينيه تتلألأ كالنجوم في السماء. حاولت أن تتهرّب، لكنّ عينيه كانتا تجذبان نظرتها باستمرار فاجتاحتها موجة من الحرارة، قوية ومتوحّشة لدرجة أنها قطعت لها أنفاسها. هزّت رأسها وهمست: «لا يمكنك أن تتكلّم هكذا».

ـ هل تجدين صراحتي مهينة؟ هل تشعرك هذه الأمور بالغثيان؟

ارتعدت مفاصلها. مهينة؟!

ـ لا أشعر بالغثيان. لكنني لا أظنّ أنّ الوقت أو المكان مناسبين للتكلّم في أمور كهذه.

أجابته بجفاء، لكنّ نيكوس لم يكن من الرجال الذين يسهل إيقافهم.

ـ أليست أموراً عادية يمكن أن تناقش؟

ـ ليس بين شخصين غريبين عن بعضهما.

ـ لو كنت توم، هل ستشعرين بالراحة لمناقشة هذا الأمر معي؟

شعرت كايتي بغضب شديد فصرخت في وجهه: «أنا وتوم لا نناقش أموراً كهذه».

ـ سيدة لايكس...؟

استدارت كايتي لتجد الممرّضة تنظر إليها.

ـ نحن جاهزون لصورة الأشعة.

أظهرت الصورة التواءً حاداً في كاحلها، فلفّه الطبيب بضمادة، ونصحها بإبقاء قدمها ممدودة. ثمّ عبّر عن ارتياحه لأن رئتيها لم تصابا بأيّ أذى، لكنّه اقترح أن تبقى في المستشفى تلك الليلة تحت المراقبة. رفضت كايتي الاقتراح بحزم، وتنفّست الصعداء لأن الطبيب لم يتمسك برأيه.

قالت لها الممرّضة اللطيفة التي رافقتها: «لن يطول الأمر قبل أن ينتهي الطبيب من فحص زوجك».

ثمّ أدخلتها إلى غرفة الانتظار، فقالت كايتي لنفسها: وكأنني أهتم للأمر.

لاحظت انعكاس صورتها في باب زجاجي، فأدركت لما ينظر إليها الناس بفضول منذ أتت إلى المستشفى. واعترفت بأنّها تبدو مخيفة!

بدا من الصعب تحديد اللون الأصلي لفستان سايدي الذي كان في الماضي جميلاً. أظهرت التنورة الطويلة الممزّقة جزءاً كبيراً من ساقيها القذرتين. ومع أنّها تمكّنت من غسل وجهها ويديها، إلّا أنّها كانت تتوق إلى حمّام ساخن يزيل عنها رائحة الدخان المزعجة التي تغلغلت في مسامها.

نظرت إلى نفسها بحزن وقالت للممرّضة: «أشعر بالخجل لما سأطلبه منك، لكن هل تملكين أيّ قطع نقدية للهاتف؟».

انتظرت كايتي إلى أن اختفت الممرّضة عن الأنظار، قبل أن تتوجّه إلى الهاتف الذي رأته في البهو. اتّصلت أوّلاً بتوم. لم يكن في المنزل، كما لم يجب على هاتفه الخلويّ. كادت تترك له رسالة صوتية لكنّها تراجعت في اللحظة الأخيرة... لا يمكنه أن يفعل شيئاً، وإخباره عن الحريق سوف يقلقه.

اتّصلت بعد ذلك بسايدي على هاتفها الخلوي، فقالت لها هذه الأخيرة: «بدأت أظنّ أنهم سيبقونك في المستشفى هذه الليلة!»

بدا صوتها متعباً إنما متفائلاً، ما أظهر قدرتها الكبيرة على تحمّل

المصاعب. راحت سايدي توافيها بالأخبار السيئة: «شقّتك احترقت بالكامل. أما الخبر الجيّد فهو أنّهم تمكّنوا من السيطرة على الحريق قبل أن يبلغ الطابق السفلي. سأبيت لدى عائلة جايمس هذه الليلة. قالوا إنّه بإمكانك النوم على الكنبة إن أردت».

ـ أشكريهم نيابةً عني، ولكن لن أتمكّن من تحمّل رحلة العودة.

فالمستشفى يبعد حوالى خمسة عشر ميلاً عن المدينة، وبدت كايتي على وشك الانهيار. أضافت قائلة: «سأستقلّ سيارة أجرة إلى أقرب فندق وأنام مدة أسبوع».

ـ جيّد. أراك غداً؟

ـ بالتأكيد. سايدي... أنا آسفة.

ـ يا إلهي! لا نعرف حتى إن كانت غلطتك أنت، فأنا نسيت إعادة تشغيل جهاز إنذار الحريق بعد أن أنهى الدهّانون طلاء المنزل في الشهر الماضي. بالإضافة إلى ذلك، لم يتأذ أحد، وتأميني جيد جداً. لذا لا تشغلي بالك بهذا الأمر.

لم تدرك كايتي أنّها لا تملك أيّ مال لسيارة الأجرة أو الفندق، أو حتى لإجراء اتّصال آخر إلا بعد أن أقفلت الخطّ. فقالت لنفسها: «لا تجزعي، فكّري بالأمر بهدوء ومنطق».

وعندما فكرت بمنطق وهدوء أدركت أنها لا تملك المال، ولا تملك وسيلة نقل، وأن رأسها يؤلمها وأنّها ترتدي أسمالاً بالية ممزقة.

فقالت لنفسها: ربما كان يجدر بي قبول اقتراح الطبيب والبقاء في المستشفى الليلة.

ثمّ دخلت غرفة الاستقبال التي بدت شبه مهجورة.

وضعت كايتي يديها على صدرها وهي تشعر بالغرابة والوحدة، وبدأت تتذكّر أحداث هذه الليلة.

ـ خذي هذه.

قاطع الصوت العميق أفكارها، فنظرت كايتي إلى السترة المقدّمة إليها،

ثمّ إلى نيكوس. بدا في حالة يرثى لها، مثلها تماماً، ببشرته وثيابه الملطّخة بالسواد. ولكن، على العكس منها، لم يكن يعير الأمر أيّ اهتمام. أين العدل في هذا؟ ففيما بدت هي كساحرة شريرة بثيابها الممزّقة وشعرها الأشعث، زادته هاتان الصفتان بالذات غموضاً وخطراً... بدا شريراً مزاجياً، ومتشرداً. لا يمكن لأحد أن يتجاهله.

في الواقع، حتى لو جرّدوا هذا الرجل من ثروته ومنصبه، وحتى من ثيابه، فلن يخسر أبداً سلطته المتعجرفة البغيضة.

لكن لا يهمّ ما قد تؤول إليه الأمور، فهي لن تبقى إلى جانبه طويلاً. كان من المفترض أن تشعرها هذه الفكرة بالراحة. لكنّها شعرت لسبب ما بالحزن يتملّكها. قطّب نيكوس حاجبيه وقال: «أنت ترتجفين».

نظرت كايتي إلى السترة مجدّداً. فكّرت في رفضها، ثمّ أدركت أن لا نفع من ذلك. كما لم تشأ أن توقفها الشرطة للإخلال بالآداب العامة!

ـ نعم بالفعل، شكراً.

وضعت السترة حول كتفيها المنحنيتين ولفّت نفسها بها فشعرت بأنّها قريبة منه بشكل مثير.

ـ فستاني فاضح أكثر من اللزوم.

ـ أكون كاذباً إن قلت إنني لم ألاحظ.

رمقته كايتي بنظرة حذر، ولكنّ تعبيره كان غامضاً. ربّما هذا أفضل.

ـ هل نجلس؟

اقترح عليها ذلك، وأشار نحو المقاعد فهزّت كايتي رأسها: «تبدو المستشفيات غريبة خلال الليل، ألا تظنّ ذلك؟».

ثمّ نظرت حولها إلى المساحة الكبيرة الخاوية، وتمتمت: «تكاد تكون مخيفة».

ـ ظننتك رحلت.

لم تخبره كايتي أن هذه كانت خطتها لكنها لا تملك المال.

ـ هل اتصلت بتوم؟

هزّت رأسها: «حاولت ذلك، ولكنّه لا يجيب. بدا خلال العشاء أنّه سيتغيّب طويلاً، أليس كذلك؟ قد يكون وسط مفاوضات حسّاسة، من الأفضل ألا أزعجه».

ـ من الطبيعي أن يترك الرجل كلّ شيء من أجل امرأته التي نجت من الموت.

عكست شفتاه المتعجرفتان رأيه بأيّ رجل لا يسرع إلى جانب حبيبته. أما كايتي، فشعرت بالانزعاج لاضطرارها للدفاع عن خطيبها الغائب، فقالت: «توم سيفعل!».

ثمّ أضافت: «نجت من الموت؟ أليس ما تقوله درامياً بعض الشيء؟».

اتّسعت ابتسامتها عندما حاولت تخيّل توم يدعوها امرأته، ولو فعل، لضحكت على الأرجح.

عندما استعان نيكوس بهذه الكلمة، لم تبدُ مضحكة. لا بدّ أنها اللكنة... فذوو اللكنة الغريبة المثيرة يمكنهم استعمال ألفاظ لا يستطيع السكان الأصليون استخدامها. ولا داعي لأن تقول إنّها لا تريد أن يدعوها أحد امرأته. فهذه الكلمة تنتمي إلى أسلوب متعصّب قديم، أسلوب قد يليق بذلك الرجل الذي اختاره جدها ليتزوّج أمها. فاستنتجت أنّ لكنته هي المسؤولة عن الشعور بالارتعاش الذي ينتابها عندما يكون بقربها.

هزّ نيكوس كتفيه العريضتين وأجابها: «ممكن».

كان من الصعب ألا تلاحظ عضلاته المتوتّرة تلتوي وتنتفخ تحت قميصه الرقيق.

ـ ولكنني أظنّ أنّ لتوم الحقّ في تحديد ذلك بنفسه.

قست شفتا كايتي فقد بدأت تشعر بالانزعاج من إصراره. وبّخته قائلة: «ألا يمكنك الانتظار حتى الصباح لتخبره أنّه متورّط مع مخلوقة بغيضة؟».

ـ في الواقع، كنت أتساءل عن شعوري لو كنت مكانه.

تورّدت وجنتا كايتي إذ لم يعجبها أنّه أسكتها بهدوء، فقالت: «أظنّ أنّ

هذا تطلّب جهداً كبيراً من مخيّلتك المحدودة بدون شكّ».

ـ يا إلهي!

منح الغضب ملامحه المشدودة القاتمة نظرة مهددة. فأكملت: «وأظنّ أنك لن تنسحب من مفاوضات مهمة تتعلق بالأعمال إن احتاجتك صديقتك. هذا حقاً من شيمك!».

فقد بدا لها من الرجال الذين يضعون علاقاتهم الشخصية في أسفل لائحة أولوياتهم. واجتاحتها فجأة موجة قوية من الضعف، جعلتها ترتجف. أما غضب نيكوس فقد اختفى ما إن لاحظ الإرهاق على وجهها الشاحب، فأمسك بذراعها وأمرها بقوة: «اجلسي!».

لم تكن هذه المرأة قادرة على العناية بنفسها. وراح يتساءل كيف يدعها توم تخرج وحدها!

أطاعت كايتي أوامره، إذ فكرت أنّ الامتثال لتعليماته أشرف بكثير من الوقوع أرضاً أمامه. لديها كبرياؤها طبعاً، ولكن عليها أن تتعلّم متى تسكتها. جلست للحظة وأغمضت عينيها، تنتظر اختفاء شعور الضعف الرهيب. ولحسن الحظ، تركها نيكوس في حالها.

ـ أنا متعبة قليلاً.

رمقها نيكوس بنظرة مبطّنة وقال: «أمرك غريب حقاً. تشعرين بالحاجة للاعتذار عن تصرف طبيعي عادي، وتتجاهلين الإهانات التي ترمينها في وجهي بوحشية!».

هزّ رأسه إذ كانت على وشك أن تجيبه وضغط بإصبعه على شفتيها وقال: «لن نتشاجر. مخيّلتي ليست ضعيفة جداً بحيث لا أرى أنّك مرهقة. أما ماذا قد أفعل، فنحن لا نتكلم عني».

لا نتكلّم، ولا نفكر، ولا نتوهّم... هذا ما كانت بحاجة لوضعه في رأسها! مسحت بدون تفكير شفتيها بظهر يدها، لتمحو لمسته عنهما.

ـ لا حاجة حقاً لأن يمضي توم أيضاً، الليل ساهراً. فهو يعلم أنني لا أحتاجه ليمسك بيدي كلما واجهت المشاكل.

سألها نيكوس بمرح: «أنت إذاً امرأة قوية ومستقلّة؟».

فضاقت عينا كايتي. كانت نظرة التحدّي فيهما ضعيفة، ولكن كافية لتخبره رأيها بتكبّره. قالت له بفخر: «إذا كنت تسأل إن كنت قادرة على العناية بنفسي، فالجواب هو نعم. هل لديك مشكلة في ذلك؟».

لا شك أنه يفضّل النساء الضعيفات اللواتي يخبرنه دائماً كم هو قوي ورائع، ولا يعارضنه أبداً، أبداً!

سألها نيكوس برقة: «وهل لدى توم مشكلة في ذلك؟».

لوّحت كايتي بخاتم الماس الكبير المنافي للذوق وأجابت: «أبداً، هذا واضح».

فاقترح بصوت جاف: «ربما تكونين أكثر حذراً وأنت معه؟».

فأجابته: «أنا أرتاح بقربه».

ثمّ أغمضت عينيها، وتخيّلت نفسها بصحبته غير المتطلّبة. بصحبة توم، لم تشعر أبداً بالتوتّر أو الضغط أو... الإثارة؟ جحظت عيناها بفعل الصدمة، من أين أتت هذه الفكرة؟

ـ ولكن ليس بقربي؟

لم تستطع كايتي كتم ضحكتها. فقد بدت لها الفكرة مضحكة للغاية. ترتاح بقرب نيكوس؟ يمكنها بالأحرى أن تتخيّل نفسها نائمة على فوهة بركان ناشط! إنّه يملك بالفعل مواصفات بركان ناشط... فبإمكانه أن ينفجر من دون أيّ سبب ظاهر.

ـ هل أبدو لك سخيفة لهذه الدرجة؟

إن كان لديها أيّ شكّ، فقد اختفى في تلك اللحظة. تنهّدت كايتي وحضرت نفسها لردّ قاسٍ لا مفرّ منه... ولكنّ الردّ لم يأتِ. بل على العكس، طال الصمت بينهما...

جمد نيكوس في مكانه لدرجة أنّه كاد يتوقّف عن التنفّس، ولم تتحرّك عيناه عن وجهها. لم تستطع حلّ لغز التعبير الذي ارتسم على وجهه المشدود والذي لم يظهر إلا للحظة، ولكنّها كانت كافية لتفقدها صوابها.

ـ كلا.

بعد إهانتها له توقّعت أن يكون ردّه أكثر... حدّة من هذا.

ـ لم تجب عن سؤالي.

وأكملت في سرّها: إلا بسؤال آخر، ثمّ بصوت مرتفع: «هل لديك مشكلة مع المرأة القوية؟».

ـ المسألة ليست مسألة قوة. فعلاقتي بالنساء نادراً ما تكون تنافسية، سواء بالشكل أو بطريقة التفكير.

شعرت كايتي بالرضىً. فبتعبير آخر، هو يختار المرأة الضعيفة على أن تكون حبيبة رائعة.

ـ بعض النساء يضحين بأنوثتهنّ للتنافس مع الرجال، هذا خيارهنّ. ولكنني لا أجدهنّ جذابات. أنا أقدّر النساء اللواتي ينجحن بدون محاولة التمثّل بالرجال.

ـ هل تقول إنني فقدت أنوثتي؟

ـ لا يمكنني تصوّرك كمنافسة للرجال بشروطهم الخاصة.

يا إلهي، هذا المتعالي...!

ـ هل ستتركين عملك قبل الزفاف أو بعده؟

تساءل نيكوس بابتسامة بريئة، فحبست كايتي أنفاسها. بابتسامته هذه يمكن لهذا الرجل إهانة الإنسان أكثر من أيّ شخص آخر عرفته.

قالت له بعنفوان جامد: «لن أترك عملي أبداً. قد لا يكون عملي مهماً جداً، ولكنّني أستمتع بالقيام به».

فرفع حاجبه: «حقاً؟! جعلني توم أعتقد أنّك لا تطيقين الانتظار...».

فقاطعته كايتي قائلة: «لم أبلغ توم بقراري هذا بعد».

ـ وهل تبلغين توم بأيّ من شؤونك؟

ـ علاقتي بتوم لا تعنيك إطلاقاً.

ـ بل هي في الواقع تعنيني لدرجة كبيرة.

ـ فقط لأنك شخص لا يطاق يتدخّل...

أحكمت كايتي إطباق شفتيها، وابتلعت بقية خطبتها العنيفة. فالمكان والزمان ليسا مناسبين لمعركة محتدمة، وبخاصة إن كانت ستخسرها.

ـ ألا تظنّ أنّ توم قادر على اتخاذ قراراته بدون أن توجّهه أنت إلى الطريق الصحيح؟ فتوم سيد نفسه.

أضافت ذلك بسرعة وفخر، ورأسها مرفوع. فأجابها: «أنا متأكّد من أنّ توم قادر تماماً على اتخاذ قراراته بنفسه، شرط أن يملك كافة الوقائع... ما إن يفعل، فسأكون مسروراً بالالتزام بقراره».

ـ ليست الوقائع هي المهمة بل الطريقة التي تعرضها بها.

ـ أعرضيها أنت بالطريقة التي تناسبك أكثر، ليس لديّ أي اعتراض. لكن، حتى لو أقنعت توم بأن ثروته لا علاقة لها برغبتك في أن تصبحي زوجته. هذا لا يغيّر واقع أنّك لست حرّة لتتزوجي به.

أشار تعبيره عندما نطق بهذه الجملة الأخيرة إلى أنّه لا يمزح أبداً.

ـ كنت لأصبح حرة لو لم تكن أنت عنيداً خبيثاً...

تنشقت كايتي الهواء ببطء لتهدّىء تنفّسها. لن تلجأ إلى الشتائم من جديد فأكملت: «لماذا عليّ أن أتزوج بتوم إن كان زوجي الحالي ملياردير؟».

بدا نيكوس جاهزاً لتلقّي ردّها، وفسّره بطريقة خاطئة كلياً، فأجابها: «قبل أن تبدأي بتخيّل أرقام وهمية، أودّ أن ألفت نظرك إلى أنّ الاتفاق الذي جعلني هارفي أوقّعه يعمل في الاتجاهين. لقد تأكّدت من ذلك. آسف، ولكنّني لست وزّتك الذهبية. ما الخطب؟».

طرح عليها هذا السؤال عندما لاحظ أن اللون اختفى من بشرتها.

اجتاح كايتي غضب جامح جعل عينيها تشعّان بقوة. وحدّقت إليه غير مصدّقة. أما هو فبدت حيرته حقيقية... كيف يستطيع أيّ شخص أن يبين شخصاً آخر بهذه الطريقة، ولا يدرك ذلك؟ تركت السترة تنزلق عن كتفيها وقالت بحدّة: «لا تدعني أؤخرك».

أجابها بنفاد صبر: «لا تكوني سخيفة. أنت تشعرين بالبرد، وها أنت

تتصرفين بغباء».

فهزت كايتي كتفيها وتركت السترة تقع أرضاً: «ربما أريد أن أتصرف بغباء».

قال وقد انحنى ليلتقط السترة عن الأرض: «أنت الآن تتصرّفين بسخافة ليس إلا».

كان اللون قد عاد إلى وجهه عندما جلس مجدداً. أما شفتاه فعبرّتا عن ازدراء واضح. فأجابت من دون تفكير: «إنها غلطتك».

رفع نيكوس حاجبه الداكن ثمّ رمى السترة بإهمال على كتف واحدة وقال: «يجب أن أسمع هذا. ماذا كنت تقولين؟».

أجفلت كايتي: «لا لزوم للكلام لأنّك ستحوّر كلّ ما أقول».

ثم أعلنت بتمرد: «بتعبير آخر، لا أساس أبداً لاتّهاماتك».

وقبل أن تتمكّن من المعارضة، وضع نيكوس السترة على كتفيها وظلّ ممسكاً بطرفيها، ثمّ جذب كايتي نحوه. كانت مدركة تماماً لقوّته. تنشقت رائحته الدافئة، وشعرت بالدوار.

أحنى رأسه نحوها وقال بلطف: «مهما أصبحت مزعجة، لن أتركك وحدك».

ـ لكي تدعوني بالساقطة الجشعة البخيلة!

يا للهول! شعرت بعينيها تمتلئان بدموع الضعف! أما وجه نيكوس فقد عكس مفاجأة صادقة. فقال بلهجة عنيفة: «لم أقل شيئاً من هذا القبيل!».

ـ اتّهمتني بأنني أريد أن أقيم معك علاقة للحصول على طلاق يدرّ عليّ المال. لمعلوماتك، لن أقبل منك ثمن سيارة أجرة.

راحت تتساءل كيف يمكن لإنسان أن يكره شخصاً لهذه الدرجة، ويرغب في الوقت نفسه بالبكاء على صدره؟ لما قد يرغب أيّ شخص بكامل قواه العقلية في البحث عن الراحة والأمان بين ذراعي عدوّه؟ واستنتجت كايتي، وهي تحدّق بذهول إلى الرجل الذي يملؤها بهذا الشوق، أن الأمر مخيف ولا مبرّر له.

لان تعبير نيكوس القاسي عند رؤية ملامحها: «لم أشأ إهانتك يا كاترينا. لنوقف هذا الشجار. أنت لست بخير».

ـ ما هذه؟ شهامة يونانية؟

أتت ردة فعل نيكوس نتيجة الفضول لا الكرامة المجروحة: «هل تشكّين بوجودها؟».

ـ بعد أن قابلتك؟ نعم!

دهشت كايتي لرؤيته يضحك بعد ردّها، ثمّ عاد إلى جدّيته مرة أخرى.

ـ لنكن واقعيين.

ففكرت كايتي: ومتى كنت غير واقعية؟

ـ ما هي خططك؟

وهل لديها أي خطط؟

ـ آمل ألا أضطرّ للنوم على مقعد المنتزه.

ـ ما هذه؟ دعابة بريطانية؟

بالرغم من إصرارها على أن تبقى غاضبة منه، استمتعت كايتي بسماعه يستعمل طريقتها في الكلام ضدها بذكاء. مهما كانت سيئاته كثيرة، إلّا أنّ هذا الرجل يتمتع بلسان حادّ وعقل ذكي... ذكي جداً. وأعادت استعمال كلماته حرفياً: «هل تشكّ بوجودها؟».

ـ ماذا يمكنني أن أقول بدون أن أهين تراث الآخرين الثقافي؟

تورّدت وجنتا كايتي من جراء توبيخه اللطيف، ثمّ زاد قلقها عندما فكّرت أنّه قد يظن أن كلامها نابع من كرهها للغرباء.

ـ هل التقيت بيونانيين غيري؟

ـ نعم. في الواقع عشت مع شخص يوناني.

سرّتها ردة فعله المرتبكة على إجابتها، ولو كانت تعرفه أكثر لفاجأها ارتياحه.

ـ هل يعلم توم بذلك؟

رسمت كايتي على شفتيها ابتسامة مشرقة وأجابت: «نعم يعلم».

ـ أظنّ أنّ علاقتك الفاشلة هذه تفسّر عدائيتك اتجاهي.

ـ هل قلت إنها كانت علاقة فاشلة؟

ـ في الواقع، لقد استنتجت ذلك بنفسي بما أنك لم تعودي...

أجابته وعيناها تحدّقان إلى عينيه: «حسناً، اعتقادك ليس في محلّه».

لم تقصد أن تكون إجابتها مبهمة. ولكنّ الفكرة لم تبدُ لها سيئة، فكرة أن تجعل نيكوس يظنّ أنّ ماضيها حافل. واختفت فجأة النبرة القاسية من صوتها ولانت نظرتها: «في الواقع، كانت علاقة جميلة، جميلة جداً».

ثمّ أضافت بصوت حزين عميق: «أشكّ في أن أعيش علاقة مثلها مجدداً».

إلا إذا رزقت بطفلة في يوم من الأيام؟

ـ إذاً، عدائيتك اتجاهي...

ـ ناتجة فقط عن أنك رجل عدائي خبيث ومقيت.

شعرت كايتي بالندم على كلماتها الشريرة في الصمت الراعد الذي تبع إعلانها. كما شعرت بالذنب عندما نظرت إلى الجرح في جبهته. وعندما رأت أنه لم يحرك ساكناً، أضافت: «لم أقصد أن أهينك. حسناً، قصدت ذلك، ولكن... بحق الله، لا تعبس!».

قالت ذلك بضيق.

ـ اهدأي يا كاترينا. لا أشعر بالإهانة.

فتنفّست الصعداء: «جيد. ماذا قال لك الطبيب؟».

ـ صدري بخير.

قالت كايتي في سرّها: صدرك رائع. فعلقت بصوت عالٍ: «ممتاز!».

ـ وصورة الأشعة لجمجمتي طبيعية. ولكنّهم أصروا على وضع غرزة أو اثنتين في رأسي.

قال ذلك بطريقة عرضية، فأجابت كايتي: «غرزة أو اثنتان؟ تبدو لي أكثر من ذلك».

وبدون تفكير، مدّت يدها لتبعد خصلة الشعر عن الجرح. ولكن قبل

أن تلمسه، أطبقت أصابعه البرونزية على يدها فاجتاحت أعصابها موجة كهربائية عنيفة.

ابتسم نيكوس بمرح، وبدا عليه بعض التوتر... فيما ابتلعت ضحكة هستيرية. فقال لها: «ألن تصدقي كلامي؟ لا، بالطبع لن تفعلي».

ـ أردت فقط أن أتأكّد من أنك بخير.

هزّ نيكوس رأسه: «لا أهمية لعدد الغرز».

أنزل يدها لكنّه لم يتركها في الحال بل أدارها ومرّر إبهامه على راحتها: «يداك جميلتان».

بدا مندهشاً بقدرها لقوله هذا. فاستقرّ نظر كايتي على أصابعه الطويلة الجميلة. كانت يداه قويتين معبرّتين، فقالت: «ويداك أيضاً».

شعرت بتوتره ينخفض قليلاً. وبالرغم من ارتعاش شفتيه، لم يعلّق على قولها.

ـ أتعلمين، أظنّ أن بإمكاننا إيجاد ما هو أفضل من مقعد الحديقة.

شعرت ببعض الأسف عندما ترك يدها، مع أنّ لمسته جعلتها تضطرب. حاولت أن تلتقط أنفاسها اللاهثة: «ماذا تقصد...؟».

ـ أقصد جناحاً في فندق «هول».

لا بد أنّه ينزل هناك، فالإقامة في فندق أقل من «خمس نجوم» تهين كرامته.

ـ أنت تريد التقرّب مني فعلاً إذاً.

تنهّد نيكوس وبدا نافد الصبر. قال لها: «يا إلهي! انت حقاً صعبة المراس. كلانا متعب...».

ـ وهذا ليس عذراً للمراوغة.

نفر عرق في خدّه وأجاب: «لطف منك أن تذكّريني بسوء تصرّفي».

ـ أشعر أنّ هذا لا يحدث غالباً.

عبرّ عن عدم رضاه عن مقاطعتها له من خلال زمّ شفتيه وقال: «كنت على وشك القول إنني مستعدّ لتحمّل نفورك كي تقبلي مساعدتي. ستوفّرين

علينا الكثير من الوقت. وإن سأل أحدهم، سأقسم له أنك عارضتني بشدة، وأنك تكرهينني وتفضّلين النوم على مقعد حديقة إلخ...».

رمقته بنظرة ازدراء قوية، ثمّ أجابت: «ولكنني أفضّل فعلاً النوم على مقعد في حديقة!».

فهنّأها قائلاً: «أحسنت! فالخطوة الأولى لتصحيح الأخطاء هي الاعتراف بوجود مشكلة».

ـ ما إن ترحل حتى لن يعود لديّ أيّ مشكلة.

ماذا ستفعل إن أخذ كلامها على محمل الجدّ؟

ـ لا تسترسلي. لا يمكنك البقاء هنا، وليس لديك أيّ مال. أما أنا، فلديّ...

ـ الكثير من المال.

ـ في الواقع، كنت أفكّر بسرير إضافي وسيارة أجرة قد تصل في أيّ لحظة.

ـ سرير إضافي؟

قال معتذراً: «آسف إن فكّرت بغير ذلك، ولكنّ اليوم كان طويلاً...».

فتورّدت وجنتا كايتي بقوة من جراء التلميح واستجمعت كرامتها بقدر ما استطاعت. ثم وعدته بتجهّم: «لن تشعر بوجودي».

فنظر نيكوس إلى شعرها الداكن بابتسامة ملتوية وقال: «أشكّ كثيراً بذلك حبيبتي».

ادّعت كايتي أنها لم تسمع كلماته الأخيرة.

***

٧ ـ القوة السحرية لليل

اختارت كايتي زيتاً برائحة إكليل الجبل، وأفرغت القليل منه في الماء. ثم تنفّست الصعداء ما أن أحست بانسياب المياه الساخنة.

فقدت إحساسها بالزمن بينما هي مستلقية هناك، تحلم بكل ما للكلمة من معنى. وإذ بطرقة قوية على الباب تقطع هذا الحلم الرائع. أنّت كايتي بانزعاج وغمرت نفسها بالمياه متجاهلة الصوت. وإذا بالطرق على الباب يصبح أقوى، يرافقه صوت رجل.

ـ هل أنت بخير يا كاترينا؟ إن لم تجيبي سأضطرّ للدخول!

قد يفعل هذا فعلاً.

لا شكّ أنّ هذا الوضع سبب السرعة الجنونية لنبضها. عضّت كايتي شفتها، وصرخت آملة أن يرحل: «الباب موصد!»

تبع كلامها فترة صمت قصيرة، ثمّ قال لها: «باب مقفل لا يردع رجلاً مصمماً. لذا إن لم تفقدي الوعي، أجيبيني».

بدا صوته غاضباً إنما أكثر هدوءاً مما كان عليه قبل أن تتكلّم.

سألته من خلف الباب: «ماذا تريد؟».

ـ هل تريدين شيئاً من خدمة الغرف؟ سأطلب العشاء.

استجابت معدتها للعرض بدمدمة جائعة، لكنها أجابت: «لا».

ـ بالكاد أكلت شيئاً في المطعم.

ـ وعلى من يقع اللوم في هذا...؟

ـ من الأفضل أن تأكلي.

أصرّ نيكوس على الموضوع، بعد أن قرّر تجاهل اتهامها الخسيس.

ـ ماذا ستفعل؟ تطعمني بالقوة؟

أجفلت كايتي لسماع صوتها، وقالت لنفسها: يا إلهي! بدأ الأمر يشبه معركة محتدمة. على أحدهما أن يتصرف كشخص ناضج، فقرّرت أن تكون هي هذا الشخص: «في الواقع يا نيكوس... لن أمانع في أكل سندويش... نيكوس...؟».

نادته لكنه لم يجب فتنفّست الصعداء. لا بدّ أنّه لم يبقَ ليسمعها. فسألت نفسها: لماذا يصعب عليها لهذه الدرجة أن تناديه باسمه؟

عادت كايتي تستلقي في المياه المنعشة، لكن استحال عليها تهدئة نفسها مجدداً. عندما مدت يدها لأخذ منشفة، لمحت صورتها في مرآة...

وراحت تحدّق إلى عينيها... الداكنتين الخياليّتين. فارتجفت، ولكن ليس من البرد.

يا إلهي! وتساءلت إن كانت تحاول رؤية نفسها من خلال عينيّ شخص غريب، شخص واحد محدد... عيناه قاتمتان لا يسبر غورهما أحد؟

التفكير بنيكوس جعلها تضطرب. فتحت المياه الباردة وغسلت وجهها. ساعدتها المياه الباردة على التخلّص من أوهامها هذه، لكنها لم تعالج أفكارها العميقة. فقالت لنفسها: «أنا على وشك الزواج برجل وها أنا أفكر برجل آخر!»

ثمّ سألت صورتها في المرآة: «كيف يجعلني ذلك أبدو؟»

نظراً للظروف الاستثنائية، لم يكن زواجها من الرجل الذي يطلق الأفكار المثيرة في رأسها مهماً. وربما حان الوقت لتعترف أنّ علاقتها بتوم لم تكن مبنية على أساس متين يدوم مدى الحياة؟ هزّت رأسها ورفضت هذه الفكرة. فالصداقة والاحترام يدومان أكثر من الشغف... وعادت أفكارها إلى نيكوس! فقالت بصوت مرتفع: «لن أدعه يفعل ذلك بي!».

هزّت رأسها لتزيل الرطوبة الزائدة عن وجهها وأخذت نفساً عميقاً، ثمّ بدأت تفرك جسمها بمنشفة.

عندما عادت كايتي إلى غرفة نومها، كان باب غرفة الجلوس المشتركة مفتوحاً. لم تسمع أيّ حركة خلفه، ولكن من باب الاحتياط، اقتربت منه على رؤوس أصابعها لتقفله بلطف. ستشعر بأمان أكبر مع حاجز مقفل بينهما. فتساءل الصوت الماكر في رأسها: «ماذا لو علم بما تفكرين؟»

لن تنجح بعد الآن في الادّعاء بأنّه لا يجذبها... كما لا يمكنها إلقاء اللوم على التوتر الذي أصابها بسبب الحريق. الحقيقة هي أنّها كلّما نظرت إليه، غمرها جوع رهيب غير منطقي، غير منطقي أبداً!

أمسكت الباب وتمنّت لو بإمكانها طرد نيكوس من أفكارها بالسهولة التي تقفل فيها هذا الباب. إلّا أنّها اعترفت لنفسها بصراحة، أنّ الأمر يتطلب أكثر بكثير. سيتطلّب بعض السيطرة على الذات التي كنت تتحلين بها، لذا توقّفي عن التصرف وكأنّ لا خيار لك! لديك الخيار دائماً!

كشّرت كايتي إذ لاحظت عدم الاقتناع في كلماتها فعادت تقول لنفسها: تحلّي ببعض الثقة بالنفس يا فتاة!

ثمّ أعلنت لنفسها بصوت مرتفع: «لديك الخيار دائماً!»

قطّبت حاجبيها واستندت إلى الباب الذي جمد فجأة من دون أن يقفل نهائياً. أنّت بنعومة ودفعته. عندئذ، ظهر العائق أمامها: رجل يبلغ طوله ستة أقدام ونصف!

تقلّصت معدتها بقوة عندما رفعت نظرها إلى ملامحه المؤثرة. يا إلهي! ليست فقط عاجزة عن إخراجه من أفكارها، ولكنها غير قادرة أيضاً على عدم التأثر بمظهره!

ـ آسفة، لم أرك في الداخل.

ابتسمت بجدية عندما فتح الباب بالكامل، وأحكمت شدّ حزام ثوب الحمام السميك الذي ترتديه.

رمقت نيكوس بنظرة أملت أن تبدو عادية، فلا يلاحظ من خلالها تخيلاتها! كان يرتدي جينز فاتح اللون، وقميصاً حريرياً أغمق منه بقليل. وبدت الصورة الحالية لنيكوس جذّابة بشكل مدمّر تماماً كالأولى.

ـ هل كنت تكلّمين نفسك...؟

هزت كايتي رأسها بقوة ولم تجب. فارتفع حاجبه وقال: «ظننتني سمعت شيئاً».

ـ لا بدّ أنني كنت أفكّر بصوت عالٍ...

ـ ولكن لم تكوني تكلّمين نفسك.

جعلتها ابتسامته المستهزئة ترغب في ضربه. الحفاظ على التمدّن صعب مع نيكوس. فأضافت: «آسفة إن أزعجتك. تصبح على خير».

كانت تأمل أن يفهم قصدها، ولكنها لم تتوقع ذلك. فنيكوس ليس جيداً في فهم الكلام المبطّن.

ـ ظننت أنني نائم، ربما؟

بدا سؤاله بريئاً للغاية، لكنّ اللمعان في عينيه الضيقتين جعلها تشكّ بوجود فخ ما في كلماته اللطيفة ظاهرياً.

كان نيكوس يدرك أنّ العديد من النساء اللواتي يضعن مساحيق التجميل بكثرة، لا يمكن التعرّف إليهن بدونها، إنما لم تكن هذه حال كاترينا. تأمّل ملامحها، فوجد بشرة لا عيب فيها، وشفتين عريضتين زهريتين. كان العيب الوحيد في وجهها ذلك اللون الأسود تحت عينيها، وكأنّها لا تنام جيداً ليلاً. وعندما فكّر نيكوس بما قد تفعله بدل النوم، قطّب حاجبيه بقوة.

كرّرت كايتي كلمته وهي تشعر بالقلق من نظرة عدم الرضى التي يرمقها بها: «نائم؟ لم أفكّر حقاً بالأمر».

ـ لا يمكنني تصديق ذلك.

ـ تصديق ماذا؟

كان العبوس لا يزال على وجه كايتي عندما استدارت، وتبعت بعينيها الوجهة التي أشار إليها برأسه القاتم. وكادت تئنّ بصوت عالٍ عندما رأت في الغرفة الأخرى مرآة كبيرة ذات إطار مذهب، فوق السرير الضخم. لا بدّ أنه رآها بوضوح وهي تقترب.

ـ بدوت وكأنك لا تريدين إزعاج أحد، كفأرة صغيرة.

تذكّرت كايتي تسللها لتصل إلى الباب، فشعرت بموجة من الخجل تجتاحها فيما تابع نيكوس: «قد يظنّ المرء أنك لم تريدي أن أسمعك».

عضّت كايتي شفتها، فالهر يستمتع بانزعاجها. قالت لنفسها: لا بأس طالما أنه لا يقرأ أفكاري في عيني.

جعلتها هذه الفكرة ترتجف، فابتلعت ريقها وذكّرته: «قلت لك إنك لن تشعر بوجودي».

فتمتم نيكوس بعدم اقتناع واضح: «وقد نفّذت وعدك. أنت لطيفة للغاية».

أسند الباب بكتفه وقست ملامحه عندما أضاف: «إلا عندما تركتني أظنّ أنك فقدت وعيك في الحمام».

فاجأها هذا التعليق غير المتوقّع فطارت عيناها إلى وجهه: «لم تظنّ ذلك..».

اختفت ابتسامتها المستهزئة عندما التقت نظراتهما، واتّسعت عيناها: «لقد ظننت ذلك فعلاً...؟ لكني لا أفقد وعيي...».

استعادت بذاكرتها أحداث اليوم، فاتّضح لها أنّ أيّ شخص مهتمّ قد يظنّ فعلاً أنها فقدت وعيها إن لم تجبه. فاقترح قائلاً: «إنّ ذلك ممكن. فقد كنت مرهقة، ومررت بتجربة عصبية... كما لم أكن أملك تلك المعلومة الصغيرة لتجعلني أدرك أنّ مخاوفي لا أساس لها: أنت لا تفقدين الوعي».

كان كلامه مليئاً بالسخرية. فرفعت كايتي رأسها ورسمت على شفتيها ابتسامة تحدٍّ. أرادت أن تريه أنها بالرغم من إرهاقها ومظهرها المقيت، لن تقبل محاضراته بسهولة.

ـ من تظنّ نفسك؟

ـ زوجك.

فكّرت كايتي لدقيقة أنّ بإمكانه حقاً قراءة أفكارها، إلى أن تدخّل التفكير السليم واستنتجت أنها لا بدّ تكلّمت بصوت مرتفع.

ـ أفهم من كلامك أنّ التجربة العصبية التي مررت بها هي ظهورك في حياتي؟

كان في نظرتها المتحدّية قليل من اليأس. ففكرة ممارسة ذكائها على نيكوس مثيرة إلى حدّ بعيد، ولكنها مرهقة أيضاً. شعرت كايتي أنها تخسر قوتها، بدون ذكر عقلها! فهي ليست شخصاً عدائياً في العادة، كما شعرت أنها مشوشة للغاية لمعرفتها أنها تتصرّف بطريقة سيئة. من جهة أخرى، كان لنيكوس ميول استبدادية سوف تحوّله في وقت قريب إلى طاغية ما لم يتدخّل أحد لمنع ذلك.

حاول نيكوس أن يملأ الفراغ، فقال ببرود: «لم أعتقد أنك ستكونين غبية كفاية لتقفلي الباب».

فقالت كايتي لنفسها: إذا استمر في مخاطبتي وكأنني طفلة سخيفة فسوف..

وتركت هذه الفكرة عالقة، إذ بدأ عقلها يرسم الصورة المناسبة.

ـ أتقصد أنني لو لم أقفل الباب لدخلت كي تصرخ في وجهي؟

ـ لو كنت مريضة أو بحاجة إلى المساعدة، نعم. ولكن إن كنت تعنين أنني أستمتع بدخول الحمام بدون دعوة، فالجواب هو لا، لا أفعل ذلك.

مع أنّ تعبير وجهه لم يتغيّر، إلا أن تغيراً مفاجئاً ظهر جلياً في مزاجه من خلال النظرة الحارقة التي استقرّت على وجهها. ثمّ تابع قائلاً: «إن تمّت دعوتي، يتغيّر كل شيء».

ـ تجعلني الصورة التي ترسمها أشعر بالغثيان.

ولكن لأسباب مختلفة تماماً. فالغيرة هي آخر ما تحتاجه الآن!

ـ لم أكن أعرف أنّك محتشمة إلى حدّ التطرف. مع أنه كان يجدر بي أن أحزر عندما قلت إنك وتوم لا تتكلمان عن «تلك الأمور».

فأنكرت بغضب: «لست متطرفة على الإطلاق».

ثمّ عدّلت صوتها إذ أدركت أنّ ردة فعلها مبالغة كثيراً، ولكنها لم تستطع منع نفسها: «أظنّ أنّ ما يجري بين الرجل والمرأة يجب أن يبقى

بينهما، وألا يصبح موضوع نكات رخيصة».

ـ حسناً، على الأقلّ لاحظت أنها كانت نكتة. ربما يساعدك بعض الطعام على التركيز أكثر؟

لم تشعر كايتي في حياتها بإذلال مماثل. لم تعرف كيف سمحت له باستفزازها بهذا الشكل. فسألته:

ـ لماذا تصر على اتهامي بأمور سيئة؟

ـ وأنت، لماذا تصرين على معاداتي كصبي عنيد؟

ـ لست صبياً! أتعرف، أظنني جائعة قليلاً.

بدت محاولتها لتغيير الموضوع سخيفة جداً، ما جعل نيكوس يبتسم. ولكنّ ابتسامته اختفت إذ خطرت بباله فكرة لا تصدَّق. فهزّ رأسه في الحال ليطردها. غريب! كيف تخطر في بال الرجل أفكار جنونية إذا لم يأكل أو ينام.

بما أنّه رجل نزيه، لم يستطع نيكوس التأكد مما إذا كانت الظروف هي التي أطلقت العنان لحاجة أساسية مختلفة، حاجة يشعر بها كلما نظر إلى حبيبة صديقه... زوجته.

قطّب نيكوس حاجبيه فقد كانت حياته العملية مليئة بالتعقيدات. لذا حرص على أن تخلو حياته الخاصة من ذلك. وبدا له أنه إن أراد العودة إلى وضعه السابق، فعليه أن يخرج كاترينا فورسايث من حياته.

ـ لحسن الحظ، طلبت طعاماً لشخصين.

نظرت كايتي خلفه، فرأت فوق الطاولة الزجاجية بضعة أطباق فأصدرت معدتها صوتاً ذكّرها بأنها لم تأكل الكثير في الأربع وعشرين ساعة الماضية. رمقت الطعام بنظرة أخيرة تواقة وقالت بغير اقتناع: «في الواقع، أظنّ أنني بخير».

ـ هل فقدت شهيتك فجأة فقط لتغيظيني؟ هل فهمتك جيداً؟

سألها ذلك ببراءة، فاتهمته قائلة: «لا تتحاذق! تفهم الإنكليزية أفضل مني وكلانا يعرف ذلك!».

ـ لم يصفني أحد بالمتحذلق من قبل! أنا متأثر!

وجدت كايتي أنه لا يمكنها الاستمرار بالتصرف وكأنها لا تدرك السخرية الماكرة على تعابير وجهه. فرفعت يدها ووضعتها على رأسها وقالت: «لا بدّ أنني أنا أيضاً متأثرة... مجرّد وجودي هنا يجعلني كذلك!».

ـ هل تبكين؟

سمعت كايتي الارتجاف الخفيف في صوته العميق وتذكّرت أنه لا يحب رؤية امرأة تبكي: «لا، ولكن قد يناسبك أن أفعل».

لان تعبير نيكوس. كان كلامها يدلّ على قوة، لكنّها في الحقيقة ضعيفة للغاية فأثّر فيه هذا التناقض كثيراً.

ـ صحيح أنني لا أحب رؤية امرأة تبكي. ولكن إن كان لدي أي كان سبب للبكاء، فلديك أنت. كنت شجاعة جداً... ولكنك الآن متعبة وجائعة. تعالي لنأكل. لنعلن هدنة!

مع أنها كانت تشكّ للغاية في عرض الهدنة هذا، اخترق لطفه غير المتوقع دفاعاتها. فسألته: «ماذا هناك للأكل؟»

إن أصرّت على عنادها، فقد يصل إلى استنتاجات خاطئة. قد يظنّ أنها خائفة من البقاء في الغرفة ذاتها معه! أما نيكوس فتحلّى باللياقة الكافية لئلا يتصرّف كرابح، وأجابها: «سلمون مدخّن وكريما بالجبنة، لحم بقر وخيار».

وجدت كايتي من الصعب ألا يسيل لعابها، فقالت: «أنا جائعة».

دعمت معدتها كلامها فأصدرت صوتاً عالياً. وتحدّته نظرتها ليضحك: «كما أنني أكره هدر الطعام».

وافقها الرأي محافظاً على الجدّية: «بالفعل. خاصة لمجرد إثبات وجهة نظر».

ـ يا لها من هدنة! كنت أعلم أنك لن تستطيع الالتزام بها!

ـ لن تبدأ الهدنة إلا عندما نبدأ بالأكل.

ـ حسناً، إن كنت ستضع القواعد مع الوقت...

رفع يديه بحركة خضوع مستهزئة، وقال: «أستسلم، أنت تربحين».

ـ لست من يسجل النقاط. أنا جائعة.

ـ وأنا أيضاً.

رافقها إلى الكنبة. ثمّ وضع الوسادات على الطرف، الواحدة فوق الأخرى وقال لها: «ارفعي قدمك».

جلست كايتي على الكنبة قبل أن تسأله: «كيف عرفت؟».

وضع نيكوس قدمها على الوسادات وأجاب: «سألت الطبيب».

تصلبت أصابع رجلي كايتي لشدة ما شعرت بالدهشة والغضب: «وأخبرك؟».

ـ أنت زوجتي.

ـ هلا توقفت عن قول ذلك؟

ـ حتى لو فعلت، لن يتغيّر شيء. لا أظنّ الطبيب وجد مانعاً في إخباري. والآن، أين تلك الضمادة؟

ـ في جيبي.

ـ ينبغي أن تكون على قدمك.

ـ في الواقع، حاولت وضعها ولكن لم أستطع. إنها ضيقة جداً.

مدّ يده وقال: «اسمحي لي».

هزّت كايتي رأسها، ثمّ رفعت رجليها ووضعتهما على الكنبة وخبّأتهما بطيّة ثوب الحمام. فبدا عرق نابض بقوة في خدّه الناعم: «لمستي تهينك؟».

ـ لا تكن سخيفاً! بالطبع لا تهينني!

لن تقول له ما تفعله بها لمسته.

ـ أنت تناقشين كثيراً.

ـ لا، أنا لا أفعل. ولا لزوم حقاً للضمادة. أصبح كاحلي بخير بعد الاستحمام.

ظهر في صوتها ارتجاف صغير إذ كانت تحاول جاهدة أن تقنعه.

ـ لا ليس بخير. رأيتك تعرجين.

أغمضت كايتي عينيها بضيق، ثم حرّرت قدمها ومدّتها له قائلة: «هيا، افعل كما يحلو لك».

لم تكن قادرة على إخباره أنّ لمسته ولو لمدة بسيطة تجعلها تشعر بالحرّ والبرد في آن معاً. يا إلهي! يكفي أن ينظر إليها لتشعر بالتأثر.

نظر نيكوس بصمت إلى الكاحل الممدود أمامه، لكن لم يقم بأي محاولة للمسه أو لمسها. وطالت تلك اللحظة...

بقي بدون حراك لوقت طويل حتى بدأت العضلات في فخذها ترتجف. في النهاية، لم تستطع كايتي التحمّل أكثر فسألته بغضب: «هل ستفعل ذلك أم لا؟».

تمنّت في سرها ألّا يفعل. لكنّ نيكوس رفع كمّي قميصه مظهراً بذلك قوة ساعديه. فاجتاحت كايتي موجة من التوق ملأتها يأساً، فصرخت في وجهه: «لننته من الأمر إذاً بحق الله!»

عندما أمسك كاحلها بيديه، شعرت بأنهما فاترتان وقادرتان. قال لها بلطف: «كاحلك ملتوٍ بشدة والجرح ينزف. يبدو أنه مؤلم للغاية».

قطّب حاجبيه بينما راح يتفحّص إصابتها بأصابع قوية وحسّاسة. كان كاحلها يؤلمها فعلاً، ولكن لم يكن هذا سبب تهرّب كايتي من نظرته المتسائلة. فصبّت مشاعرها على كاحلها المسكين: «نسيت أن تذكر أنه قبيح».

قطّبت كايتي حاجبيها عندما قارنت كاحلها الملتوي بالسليم.

ـ أنا متأكّد من أن توم سيبقى على حبك حتى لو كان كاحلاك غليظين كجذع شجر.

لست واثقة كلّ الثقة.

قالت ذلك لنفسها تقريباً وتذكرت حب توم للأشياء الجميلة الكاملة. إنها تشعر بالضيق عندما يدعوها أثمن ممتلكاته، مع أنها تعرف أنّ هذه طريقته في الكلام، فهو يحبّ أن تكون ممتلكاته ممتازة.

ـ تقدّرين مظهرك ولا تعطين أي قيمة لذاتك.

جعلها صوت نيكوس تركّز اهتمامها مجدداً على وجهه فاكتشفت أنه غاضب بدون سبب أو مبرر واضحين.

ـ إن لم يرَ الآخرون سوى وجهك الجميل وجاذبيتك، ألا تظنين أنها مشكلتهم هم لا مشكلتك أنت؟

طرفت كايتي عينيها مدهوشة لسماعها العتاب في صوته. إنه يظنّ حقاً أنّ وجهها جميل...؟

حاولت كتم صرخة ألم عندما اشتدّت أصابعه على كاحلها المجروح وأوجعتها. فأرخى نيكوس في الحال قبضته وقال: «آسف إن آلمتك».

كذبت عليه: «ليس حقاً».

أبدى نيكوس استياءه ونظر إليها بغضب. أسند كاحلها إلى ركبته وأكمل لفّ الضمادة على قدمها ثمّ رفع عينيه ليرمقها بنظرة ساخرة: «كنت لأطلب منك أن تخبريني إن آلمتك، ولكنّني سأضيع وقتي، أليس كذلك؟».

لم تكن كايتي متأكدة من وجود ألم أسوأ من تلك المشاعر الجميلة التي تشعر بها كلما لمست أصابعه بشرتها. وعندما انتهى من تضميد قدمها، قالت له: «شكراً لك».

رفع رأسه، فلاحظت كايتي توردا خفيفاً في وجنتيه: «لم يكن الأمر صعباً. اجلسي هنا. سآتيك ببعض الطعام».

ـ فكرت في أن آخذ شيئاً إلى غرفتي.

فسألها بسخرية: «تركضين هاربة؟».

ـ لا أستطيع الركض.

ـ هذا صحيح. لا أحبّ أن آكل لوحدي. إبقي إذاً!

ـ حسناً، سأبقى.

سمعت نفسها تقول ذلك، ثمّ تضيف: «يبدو الوقت متأخراً جداً للأكل».

ولكنّ النهار بأكمله كان غريباً.

www.elromancia.com

ـ يأكل الإنسان عندما يشعر بالجوع.

ابتسمت كايتي لدى سماعها هذه الفلسفة البسيطة. إنّها تليق فعلاً بنيكوس.

ـ لدى الناس هوس في ما يتعلق بالطعام. كيف تجدين هذا الطبق؟

ـ لو كان لدي أيّ هوس بالطعام لفقدت وعيي. يبدو شهياً.

بدا حماسها زائفاً حتى بالنسبة إليها. لكن الخطأ خطأ ابتسامته المدمرة التي تظهر هذه التجاعيد الصغيرة حول عينيه.

ـ يمكننا التظاهر بأننا نقيم حفلة عشاء عند منتصف الليل. أليس هذا ما يفعلونه في المدارس الانكليزية؟

قالت كايتي وهي تتذكّر المبنى المتواضع لمدرستها: «ليس في المدرسة التي ارتدتها أنا».

كانت مدرستها بدون أيّ شكّ بعيدة كل البعد عن المدرسة التي ارتادها نيكوس. في الواقع، كانت حياتها كلها بعيدة كل البعد عن حياته.

ـ هل كنت ذكية في المدرسة؟

ـ ليس كثيراً. ولكن كانت شعبيّتي كبيرة.

وضحكت ضحكة صغيرة أعطت نيكوس فكرة عن حسّ الفكاهة الذي تتحلى به ولا تتمكن من إظهاره عندما تكون في صحبته: «لكن سبب هذه الشعبية هو أخي التوأم الوسيم للغاية. ستتفاجأ إن عرفت عدد الفتيات اللواتي كنّ يرغبن بمصادقتي».

ـ كنتما توأمين؟

هزت كايتي رأسها، وفمها مملوء بقضمة من السندويش.

ـ لا بدّ أنّ خسارته كانت صعبة عليك.

لم تجب كايتي. فالتكلّم عن بيتر ما زال صعباً.

ـ كيف كان أخوك؟

فكّرت كايتي بالسؤال قليلاً: «كان وسيماً مندفعاً، مسلياً...».

توقفت ورمقت نيكوس بنظرة ساخرة. من الأفضل ألا تعطيه فرصة

للتعليق: «باختصار، كان النقيض التام لشقيقته التوأم!».

لم يناقش تعليقها: «أي أنّك أنت التوأم الحساس؟».

كانت سرعة بديهته مخيفة بعض الشيء. فقد كان بيتر المبدع المندفع، وهي الشخص العملي الواقعي. فقالت بهدوء: «كان بيتر شخصاً مميزاً».

ـ كان أخي أكبر مني سناً، لم نكن مقربين من بعضنا. صعب موته على أبي، فقد كان ابنه المفضل.

ظهر على وجهه تعبير جامد، فلم تستطع كايتي رؤية ما إذا كان الأمر يهمه. وعندما تصورته صبياً صغيراً يحاول كسب رضى والديه، شعرت بغضب عظيم يجتاحها.

ـ كان أبي يحضّره ليستلم زمام الأمور في الشركة. وعندما فقدناه، كاد أبي يموت ظناً منه أنني لن أملأ الفراغ الذي تركه أخي.

بوجود آباء عديمي الإحساس كالذين يصفهم نيكوس من الصعب أن يصبح أي ولد طبيعياً!

أفصحت عن شعورها بغضب: «هذا ليس عدلاً!».

رمقها نيكوس بنظرة غريبة جعلتها تتورّد، ثمّ أضاف: «آمل ألا أجعل أي من أطفالي يشعر بأنه غير مرغوب فيه».

إن شعر نيكوس في يوم من الأيام بنقص عاطفي، فلا بدّ أنه تجاوز الأمر منذ وقت طويل. فمن الصعب إيجاد شخص أكثر ثقة بنفسه منه.

ـ وهل تنوين إنجاب الأطفال قريباً؟

تنهّدت كايتي قبل أن تجيبه: «توم لا يجد فكرة الإنجاب الآن جيدة. علينا الانتظار بضع سنوات».

شكّ نيكوس في ألا تكون مدركة لمدى الكآبة في صوتها، فسألها بلطف: «وأنت؟».

ـ من الخطأ إنجاب طفل لملء الفراغ.

بدا لنيكوس أنها قالت ذلك لنفسها مرات عدة من قبل: «يرى بعض الأشخاص أنك إن تزوجت الرجل المناسب لن يكون لديك فراغ تملئينه».

ـ بالطبع، ولكن عندما تغرم بشخص من الطبيعي أن ترغب بإنجاب الأولاد منه...

نظرت إليه يستمع بانتباه إلى ما تقوله، ثمّ توقفت عن الكلام لتؤكد: «سأتزوج فعلاً الرجل المناسب».

وتساءلت كايتي: ولماذا أتكلّم كعجوز منازعة عن الحياة والحبّ والأطفال مع نيكوس لايكس بالذات؟

ـ وهل قلت عكس ذلك؟ إنها ملاحظة عامة فقط لا غير.

ـ لم تبدُ لي عامة جداً.

وقررت أنه حان دورها لتطرح الأسئلة، لكنها لم تستطع إخفاء نبرة الاستنكار في صوتها: «ووالدك هذا، هل يختار لك زوجتك أيضاً؟».

كانت تعلم أنّ تجربة أمها ليست فريدة من نوعها، حتى في القرن الواحد والعشرين. فهزّ نيكوس رأسه: «يقول أبي إنه لا يريد إعطائي سبباً لاتهامه عندما أفسد زواجي. فزواجه بأمي كان مدبراً، ولم تكن علاقتهما جيدة. وعندما توفيت أمي، اتصل حبيبها بوالدي لإخباره عن علاقتهما».

لم تستطع كايتي تصوّر حياة كهذه. كيف يكون تأثيرها على الأولاد؟

ضغط بإصبعيه على زاويتي شفتيها ورفعهما قائلاً: «ابتهجي. وجد حبه الحقيقي في زواجه الثاني».

فتمتمت: «يا لحبه الحقيقي المسكين!».

بدا نيكوس متسلياً: «إنها تتدبّر أمرها. فوالدي ليس سيئاً لهذه الدرجة! على الاعتراف بأنني لم أقم بمجهود كبير لتغيير فكرة أنني لا أملك ميلاً طبيعياً للعمل الشاق. لم أكن ملاكاً أبداً!».

ـ مضى على زواجنا سبع سنوات والآن يخبرني بذلك!

ظهرت ابتسامة مشرقة مدمّرة على شفتيه كرد فعل على مزاحها. ففكرت كايتي في أنهما يتصرفان وكأن علاقة أو رابطاً حقيقياً يجمعهما. ثم جمدت في مكانها مذعورة وقالت لنفسها: علاقة! رابط! لا تتقرّب المرأة من الرجل الذي يحاول المستحيل لمنعها من الزواج بالرجل الذي تحبّ!

قالت له بابتسامة لم تنعكس في عينيها القلقتين: «اسمع، لست مجبراً على إخباري عن عائلتك».

ـ لماذا؟ هل جعلتك تشعرين بالملل؟

ـ لا، لم تجعلني أشعر بالملل. ولكنّ الوقت متأخر قليلاً لإجراء أحاديث عميقة وجدية.

ثمّ تثاءبت لتثبت وجهة نظرها. فاقترح نيكوس بلطف: «أليس هذا ما يفعله الناس ليلاً؟ عندما تسدل الستارة ويختفي العالم الخارجي من الوجود، يكشفون حقائق عن أنفسهم لا يجرؤون على البوح بها خلال النهار. فلليل ميزة إنزال الدفاعات ومحو التردد».

وتجوّلت نظرته القاتمة ببطء على جسمها ثمّ عادت إلى شفتيها الناعمتين المرتجفتين: «ولكن بالطبع، يكونون عادة في السرير في مثل هذا الوقت، ولا يقضون كل وقتهم في الكلام».

كادت كايتي تفقد صوابها. تنحنحت وربّتت بعصبية على ياقة ثوب الاستحمام. استعانت بإرادتها كلها لتبعد نظرها عن وجهه. وشعرت بالامتنان لارتدائها ثوباً ذا قماش سميك يخفي جيداً جسمها. ففي ثوب عادي، لكان من الصعب ألا يلاحظ نيكوس توترها. ثمّ حاولت التكلم: «حسناً، نحن لسنا... لا أريد... أنت... نحن...».

أغمضت عينيها ورفعت كتفيها. ليتها تستطيع أن تتوقّف عن النظر في عينيه! لأصبحت قادرة على إكمال جملتها! قالت له: «أنا متأكدة من أنني لا أريد أن أتدخّل في ما لا يعنيني».

ثمّ ركزت اهتمامها على الطعام مع أنها فقدت شهيتها.

نظراً للجوع الذي كان يشعر به، لم يأكل نيكوس الكثير، ولكنه راح يراقبها. في الواقع، بدا أنّ شهيّتها أدهشته. حاولت ألا تدع اهتمامه يزعجها، بل تعهّدت ألا تجعله يلاحظ تأثيره الكبير عليها.

ـ كان الطعام لذيذاً، شكراً.

ورأت كايتي أنه من الأفضل أن تشكره على كل ما قدّمه لها، فأكملت:

«وأشكرك على إنقاذ هرّي ومنحي مكاناً أنام فيه هذه الليلة. . . هذا لطف منك».

نظر إليها نيكوس للحظة، ثمّ اقترح عليها فجأة: «ربما من الأفضل أن تأخذي قسطاً من الراحة؟».

هزّت كايتي رأسها بالرغم من اقتناعها بأنّه كان على وشك قول شيء آخر. وقفت، غير قادرة على احتمال نظراته وقتاً أطول.

ـ سأفعل.

أسرت عينا نيكوس الداكنتان الغامضتان نظرها، لكنه لم يجبها.

ـ عمت مساءً؟

شعرت كايتي بالخجل لسماع نفسها تسأل ذلك بهمس. هل يمكن أن تكون أكثر وضوحاً؟ فوبّخت نفسها: لمَ لا ترجين هذا الرجل لئلا يدعك ترحلين يا كايتي؟ قد يكون ذلك أخف وطأة.

ـ عمت مساءً كاترينا.

مع أنّ تعبيره لم يظهر شيئاً أبداً، وكذلك صوته العميق، إلّا أنّ كايتي كانت مقتنعة بأنه راضٍ. فعرجت باتجاه الباب قبل أن تبدو حمقاء أكثر من ذلك.

* * *

٨ ـ عالقة في فخ

لم تتمكن كايتي من النوم بسرعة، مع أنّها كانت مرهقة وجسمها يؤلمها. بدا لها أنّ نيكوس لم يستطع النوم أيضاً. فبينما كانت تتقلب في فراشها، لاحظت الضوء المتسرب من تحت الباب وسمعت وقع خطواته وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. لكن، قد يكون هذا من نسج خيالها.

إلّا أنها غفت في النهاية لتستفيق في ما بعد، والعرق البارد يبلل جبينها. كانت الغرفة غارقة في ظلام دامس. لم تتذكّر حلمها، إلّا أنه ترك لديها شعوراً غامضاً بالرعب.

تقلّبت في سريرها وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة عندما تذكّرت الصور العائلية الحبيبة التي تملأ الطاولة قرب سريرها في المنزل. كانت كل واحدة منها تجسّد ذكرى عزيزة على قلبها. . .

ـ يا إلهي، ماذا سأفعل؟ لقد فقدت كل شيء! كلّ شيء اختفى!

بكت بصوت عالٍ وهي تدرك فداحة خسارتها. لم يعد للصور وجود. . . اختفى كل شيء. لم يعد لديها شيء. لا شيء! لم يبق لها قصاصة صغيرة من أمها أو أبيها أو شقيقها.

ثقل الحمل على كتفيها، فاستدارت ودفنت رأسها في الوسادة. كوّرت جسمها وبكت بدون أيّ كبت. بكت على ما خسرته في الحريق.

كانت غارقة في دوامة الألم لدرجة أنها لم تسمع الطرق على الباب المشترك بين الغرفتين، كما لم تسمع ذلك الصوت العميق الذي نادى باسمها متردّداً. لم تشعر حتى بأن شخصاً دخل الغرفة ووقف إلى جانب سريرها. كانت اليد

التي لمست كتفها أول ما دلّها على وجود نيكوس.

ـ ما الخطب؟

مرّر يده في شعره الأشعث عندما تلقّى نحيباً كإجابة. فهزّها قليلاً وأمرها: «كلميني!»

لو لم تكن كايتي تفكّر بأمور أخرى تشغل بالها، للاحظت على الفور أنّ لكنته أقوى بقليل، وأنّ سيطرته الهادئة تتفتّت شيئاً فشيئاً.

شدّت نحوها الوسادة التي دفنت رأسها فيها، واستعملت اليد الأخرى لكي تسدد ضربة إلى الخلف، لكنها لم تصبه: «لا شيء. ارحل!».

جاءت الكلمات مبهمة من خلال الوسادة ومن حلقها الجاف.

قال نيكوس بسخرية: «واضح أنه ما من خطب!».

ضاقت عيناه فيما هو يفكّر بخياراته... ومن ثمّ أطلق شتيمة يونانية، وأدار المرأة النائمة في السرير على ظهرها. لكن كايتي لم تغيّر وضعيتها بل أبقت ركبتيها مطويتين إلى صدرها وذقنها مدفوناً بينهما.

ـ ما الذي يجعلك تبكين وكأن قلبك منفطر؟

وأضاف بصوت جاف وهو يرفع الوسادة عن وجهها: «تبدين كقنفذ صغير بدون الشوك... لا بل مع شوكه!».

بعد أن حرمها من وسيلة حمايتها، غطّت كايتي وجهها بيديها.

ـ على الأقل، أنا أملك قلباً! هلاّ رحلت وتركتني وحدي؟... من فضلك!

أضافت ذلك وهي ترجوه، بينما عادت إليها الحاجة الملحة للبكاء.

مرّر نيكوس يده على خدّه، فشعر بالشعر النابت في لحيته. قال لها متجهماً: «لا تكوني سخيفة. لا يمكنني تركك هكذا! هل أنت مريضة؟».

ـ إرحل!

ـ هل أنت بحاجة إلى طبيب؟ هل هذا كل ما في الأمر؟ هل تتألمين؟ ما الذي يؤلمك؟

ـ فقط عندما أتنفس.

ـ هل يؤلمك صدرك؟

ـ لا.

تنفس نيكوس بعمق: «سأتصل بالطبيب. لن يطول الأمر».

أقلقتها فكرة قدوم الطبيب، فرفعت كايتي يدها عن عينيها ونظرت إليه من خلال دموعها المتلألئة: «إياك أن تتصل بالطبيب!».

وافق نيكوس: «هذا أفضل».

ثبّت معصمها على الوسادة، ثمّ المعصم الآخر. فهزت كايتي رأسها بغضب قبل أن تركز نظرها على الوجه الوسيم للرجل المنحني فوقها. تباطأت أنفاسها وضاع تركيزها.

كان يرتدي ثوباً حريرياً أسود مربوطاً عند الخصر بعقدة غير محكمة. فسألته بصوت أجش: «ماذا؟ هل لديك نصيحة طبية لي؟».

أجابها نيكوس بصوت يدل على أنه لن يسمح لها بإلهائه عن هدفه: «كلميني».

حسدته كايتي على تركيزه. فتركيزها لم يستطع أن يواجه حتى العطر الذكوري الذي يفوح من جسمه.

سألته وهي تحاول إعادة السيطرة على نفسها: «لماذا أكلمك؟».

ربما اختلف الأمر لو أنه مهتم حقاً. ولكن لما يهتمّ؟ وفكرت في سرّها: أنا زوجة غير مناسبة يفضل أن يتجاهل وجودها. كما أني ضيفة عاجزة بشكل مخجل عن كبت مشاعرها.

لا بدّ أنه نادم الآن لأنه عطف عليها.

ـ لأنك تريدينني أن أرحل، وأنا لن أرحل قبل أن تكلميني.

أجابت على تفسيره اللطيف بروح فكاهة: «عمَّ تريدني أن أتكلم؟ عن حال الطقس؟».

ـ إن كتمان المشاعر أمر سيء.

تفاجأت كايتي لسماع هذه الكلمات تخرج من فمه: «تعطيني نصائح عن التعبير عن المشاعر؟ أنت لا تقدّر بثمن فعلاً».

قرر نيكوس أن يحاول طريقة أخرى فغيّر الموضوع بسرعة وسألها: «ماذا ترتدين؟».

جمدت كايتي وحاولت أن تنزل أكثر تحت الغطاء. فهي ترتدي أحد أثواب الحمام التي وجدتها في الحمام التابع لغرفتها، وهو ثوب مكشوف عند الكتفين.

ـ وما علاقة ذلك بأي موضوع؟

رفع حاجبه وابتسم برقة: «لا شيء. كنت أفكر كم من السهل أن أكتشف ذلك لو لم يكن لدي قيم».

بللت كايتي شفتيها الجافتين بطرف لسانها وابتلعت ريقها، ثم قالت: «هل تحاول ابتزازي؟»

ثمّ فكرت بخياراتها. لا بد أنه يمزح، ولكن هل يمكنها أن تخاطر؟

ـ دع يديّ... أرجوك؟

أمسكت الغطاء ورفعته إلى ذقنها: «كنت أبكي لأنني فقدت كل شيء في الحريق».

ـ أليس لديك تأمين؟

رمقته كايتي بنظرة غاضبة، ثمّ قالت بتعالٍ: «لا أتكلم عن القيمة المادية، فهذه لا تهمني!».

ضاقت عينا نيكوس ما إن سمع تلك التي تزوجت برجل غريب من أجل المال تتخلى بازدراء عن ممتلكاتها. فهو لا يحب غريبي الأطوار.

ـ بعض الأشياء لا يحل المال محلها.

عضت شفتها السفلى لتمنعها من الارتجاف، ثم تابعت: «كل صور والديّ وأخي... كل التذكارات... كانت أمي تحتفظ بأغرب الأشياء».

راحت تبكي من جديد واستدارت على جنبها، فاقترب نيكوس ليلمسها لكن عندما شعر بجسمها يرفضه انسحب بابتسامة حزينة.

عادت كايتي لتنام على ظهرها بعد أن تمكنت من السيطرة على نفسها وفسرت بضعف: «دمر الحريق كل شيء. لم يبق لي شيء».

قالت له ذلك بصوت سيطرت عليه كلياً، لكنها لم تستطع إخفاء الكآبة في عينيها. وبالرغم من كلّ محاولاتها، ارتفع صوتها واشتبكت عيناها الغاضبتان بعينيه. عرفت أنه ليس من العدل أن تصبّ غضبها عليه، ولكن غضبها لم يستمع إلى صوت المنطق. كان بحاجة إلى وسيلة للخروج: «أظنك تعتبرني عاطفية لا أمل منها لأنني أبكي على أشياء قد يرميها الآخرون؟».

هل شعرت أنها تفقد السيطرة أم أنها لم تستطع تحمل تلك العاطفة في عينيه؟ أنزلت نظرها إلى أصابعها التي تتمسك بالغطاء القطني بيأس.

ـ العاطفة ليست جريمة في بلدي. نحن اليونانيون عاطفيون جداً.

رفعت كايتي رأسها بعصبية ونظرت مذهولة إلى التعبير الصادق على وجهه. هل سيتوقف هذا الرجل يوماً عن مفاجأتها؟.

ـ ولكنّني أظنّ أنّك مخطئ. لم تفقدي كل شيء.

تأجج غضب كايتي، غضب داخلي عارم. لا بد أنّه يعرف أنّ ما من شيء نجا من الحريق. وهو يحاول أن يعطيها أملاً كاذباً!

ـ ربما أحرقت النار الأوراق ولوت المعدن، لكن بعض الأشياء لا يمكن الوصول إليها...

مدّ يده ولمس جانب رأسها مضيفاً برقة: «هنا في الداخل، تملكين ذكريات سترافقك مدى الحياة. ولن يحرمك أي شيء منها».

غرقت عيناها في عينيه، وما رأته فيهما أقنعها بأنه صادق تماماً. لم يكن يتفوّه بتفاهات لا قيمة لها، بل بدا أنّه يؤمن كلياً بما قاله للتوّ. تأوّهت كايتي، واغرورقت عيناها بالدموع. ولكن ليس بسبب اليأس، بل بسبب الامتنان. كان على حق، بعض الأشياء لا يمكن لأحد أن يحرمها منها. يمكنها الاحتفاظ بذكرياتها وكنزها. رفعت يدها لتمسح دموعها، فشعرت بالغطاء ينزلق فأمسكته على الفور.

كتّف نيكوس يديه وراح يراقب حركتها المرتبكة، فقال لها: «هل تسمحين؟»

وقبل أن تتمكن من المعارضة، رفع يده ومسح بإبهامه الدموع المالحة

عن خدها، فأتت ردة فعل جسمها على لمسته الناعمة سريعة ومدمّرة. فأغمضت عينيها بضعف وتمتمت: «لا لزوم لذلك، حقاً».

نظر نيكوس إلى ذلك الوجه المرفوع إليه. وتأملت عيناه القاتمتان الهالتين السوداوين تحت عينيها، والتورّد في بشرتها الشاحبة، وعنقها الرقيق، وذلك النبض الذي يرتعش عند أسفل عنقها.

بالكاد لمسها، وها هي ترتعش. وافقها بصوت عميق: «لا. لا لزوم لذلك أبداً».

تنهدت كايتي بعمق، وأدارت رأسها. وتسببت حركتها بسقوط خصلة من شعرها الطويل الناعم على خدها فأبعدها نيكوس. لكن بدلاً من أن يسحب يده، ترك أصابعه تتغلغل في شعرها الكثيف اللامع فأطلقت كايتي تنهيدة. قال لها: «من الأفضل أن أذهب».

فتحت كايتي عينيها باحتجاج وقالت في سرّها: لا يمكن أن ترحل!

تلاقت عيناها بنظرته الحائرة، وبدأ قلبها يطرق بقوة بين ضلوعها. بللت شفتيها بطرف لسانها وابتلعت بريقها: «من الممكن أن تبقى فأنت... زوجي».

تنفّس نيكوس بقوة. تهرّبت عيناه من عينيها، وأخفى جفناه المتثاقلان تعبيره. لكن هذا لم يمنع كايتي من تخيل النفور الذي ملأهما. واكتمل عذابها عندما أدار رأسه وأطلق زفيراً بطيئاً صافراً. وقالت لنفسها: لا عجب أنه لا يستطيع النظر إليّ. احترام النفس، الكبرياء... أتذكرين ما هما يا كايتي؟

ـ لا، بالطبع لا. هذه فكرة سخيفة. لا تهتم بما أقوله. أنا في حالة صدمة... نعم. هذا كل ما في الأمر. أنا في حالة صدمة!

شعرت أنها تبكي براحة هستيرية: «لننس ما قلته. لم أعنِ ذلك».

نظر إليها نيكوس مجدداً بعينين لامعتين، ثمّ عارضها قائلاً: «بلى، عنيت ذلك! وأنا لا أستطيع أن أنسى الأمر!».

بدا لكايتي أن هذا الإعلان المتفجر انتزع من صدره. فازدردت ريقها، يأسرها البريق في عينيه الفضيتين: «لمَ لا...؟».

قال وكأنه اكتشف الأمر للتوّ ولم يعجبه: «لأنني لا أريد ذلك».

فلهثت كايتي بينما شعرت بالرضى يخترق جسمها.

اجتاحت جسمها موجة من الأحاسيس لم تعرف بوجودها من قبل. فهمست، وهي تتساءل لكم من الوقت سوف تتحمل هذا العذاب بعد: «وماذا تريد؟»

ـ منذ قابلتك للمرة الأولى... وأنا أرغب بمعانقتك.

وضع يديه حول كتفيها، فشعرت بأنفاسه الدافئة تلامس بشرتها وأصيب رأسها بدوار. وكأنها تحلّق في عالم آخر لم تعرفه من قبل.

قال وعيناه تأسران عينيها: «عيناك فيهما سحر غريب آسر!».

جعلها الارتجاف المثير في صوته ترتجف. كانت تنظر إليه من خلال أهدابها شبه المغمضة، فهزّ رأسه قليلاً عندما أغمضت عينيها ببطء: «لا! أريدك أن تنظري إليّ!».

نفّذت كايتي أمره بدون تفكير، بالرغم من الثقل الذي تشعر به في عينيها. لم تحاول التهرّب من نظرته الفاحصة، بل قالت له: «كنت أنظر إليك، ولكن يبدو أنني لا أستطيع منع نفسي».

ـ رغبت بمعانقتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.

ـ لم يبدُ عليك ذلك.

وأضافت في سرّها: وأنا أيضاً رغبت بمعانقتك منذ البداية... منذ سبع سنوات.

قال نيكوس شيئاً، بينما تعلّقت عيناه بعينيها. لم يلاحظ أنه تكلم باللغة اليونانية وكايتي كذلك. فكل ما تريد معرفته موجود في عينيه، وما تقولانه مفهوم بكل اللغات...

عانقها نيكوس بشغف وجنون. وعندما افترقا أخيراً، سألته كايتي: «هل رغبت في القيام بذلك طوال الليل؟».

صحح لها معلوماتها بصوت أجش: «رغبت به منذ سبع سنوات».

فاتسعت عينا كايتي: «لم يكن لديّ فكرة أنني أترك هذا التأثير».

كرر كلمتها، ثمّ أطلق ضحكة غريبة مخنوقة: «أظن أن بإمكانك قول ذلك يا كاترينا. عندما دخلت إلى تلك الغرفة الرخيصة المقرفة، توقعت...».

لاحظت كايتي عضلات رقبته البرونزية القوية تتقلّص وهو يبتلع ريقه.

سألته بحزن: «توقعت عروساً رخيصة مقرفة؟».

لكن وفاءها لذكرى أخيها منعها من إخباره على الفور عن السبب الذي دفعها لشراء عريس.

ـ لنقل إنني لم أتوقع فتاة تبدو كهرّة جذابة. عيناها كبيرتان واثقتان، فمها مثير، وشعرها حريري رائع. شعرت بالغضب لإدراكي أنني ضعيف كأي رجل آخر. ظننت أني محصّن ضد هذه الأمور.

كان يعرف طبعاً أنها ليست بريئة للغاية، وهذا ما جعلها أكثر خطورة في نظره. لكنه بدأ يفكر باتباع غرائزه من دون الاهتمام بالنتائج، فقد شعر أن غرائزه ستقرّبه من الحقيقة أكثر من حكمه المبني على اعتبارات عملية.

ـ كنت تبدين في السادسة عشرة من عمرك.

صحّحت له معلوماته بصوت أجشّ: «كنت في الثامنة عشرة».

ـ وكنت تملكين... وما زلت... جسماً قد يجعل أي رجل بالغ يبكي.

أطلق ما يشبه الضحكة فيما رفع يده عن وجهه، مظهراً تعبيراً غريباً.

ـ أعرف أنّ الزيجات في أيامنا هذه لا تدوم طويلاً. ولكن كم رجل قد يرى أجمل النساء وأكثرهن جاذبية ويتزوجها، ثم يبتعد عنها ويعاهد نفسه على ألا يبقى مخلصاً لها، ولا يراها أو يتصل بها بعد ذلك؟

رفع خصلة من شعرها بين أصابعه، ثمّ أضاف: «أتعرفين يا حبيبتي، أظن أن لدينا أعمالاً عالقة».

هزت كايتي رأسها، ثم اعترفت بخجل: «كدت أسأل هارفي عنك، لكني لم أستطع. ليس بعد كل المطالبة بعدم وجود صلة بيننا».

ـ هل ما زلت ترفضين وجود أي صلة بيننا الآن؟

فهزت رأسها عاجزة، فقد وجدت طبيعتها العاطفية مركز اهتمام لها في شخص نيكوس.

ـ رقيقة للغاية... متوحشة للغاية...

أزعجتها ملاحظته، فقالت لنفسها: يظنّ أنني خبيرة. إنه يتوقع... يا إلهي، كم هو مخطىء!

ولكنها لا تستطيع إخباره أنها عذراء. لا بدّ من وجود طريقة أخرى لشرح قلة خبرتها...

فحاولت التهرب من نظراته وأنكرت: «لا! لست متوحشة... في الواقع، لست شخصاً جذاباً».

لكن لم يكن لاعترافها أي نتيجة فورية فقد تابع نيكوس تأملها بشغف.

بدأت كايتي تفقد تركيزها عندما شعرت أن جسمها يرتعش من تأثير نظراته: «هل سمعت ما قلته؟».

ـ سمعتك جيداً. تقولين إنك لست جذابة؟

ارتسمت في عينيه الداكنتين ابتسامة. كان وسيماً ورائعاً، حتى مع شعره الأشعث. لاحظت كايتي أنه لا يأخذ كلامها على محمل الجد فقالت: «اسأل توم إن كنت لا تصدقني».

بعض الأمور يستحسن عدم ذكرها، وهذه كانت أولها. لذا لم تتفاجأ كثيراً عندما جمد نيكوس: «لا أطلب شهادات من عشاقك».

عشاق! يا إلهي، لم يفهم قصدها! لم يفهم أنها لم تعرف أي عشاق، أما هو فلا شك أن لديه العشرات، بل على الأرجح المئات من العشيقات!

ـ وأمنعك من التفكير حتى بتوم! هل تسمعينني؟

ـ أسمعك يا نيكوس!

تفحص نيكوس وجهها. بدا لها أن ما رآه قد أعجبه، لأنه هزّ رأسه قبل أن يعانقها مجدداً. ثم رفع رأسه ليزيح خصلة شعر عن وجهها قائلاً: «أريد أن أنظر إليك جيداً، فأنت رائعة».

مررت كايتي إصبعها على خده ما جعلها تكتشف على الفور تأثيرها القوي عليه.

ـ إن النظر إليك يجعلني أحترق. أريدك كايتي، لا تقولي لا.

شعرت بالارتعاش في كل خلية من خلايا جسمها. ما الذي يقف في طريقها؟ إنها ترغب به أيضاً. كما أنهما متزوجان. اقتربت منه بنعومة وهمست في أذنه: «أنا أيضاً أريدك». ولم تعرف كايتي بعد ذلك ما نوع الأحاسيس القوية الرائعة التي غمرتها فقد غرق كلاهما في بحر من الأحاسيس جعلتهما يغيبان عن كل ما حولهما.

***

استيقظت كايتي على رائحة القهوة. تململت في السرير وعيناها مغمضتان. حاولت أن تركّز أفكارها ولكنّها لم تتمكن، واضطرّت للانتظار دقائق عدة قبل أن تستوعب أين هي وما سبب وجودها هنا... صدمتها الحقيقة بقوة إعصار، فلهثت وجمدت في السرير، ثمّ قالت في سرّها: لا، هذه أنا، ولكنني الآن امرأة بلا مأوى.. بلا أغراض...!.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة. استدارت على جنبها وتذكرت بكاءها في الليل ومؤاساة نيكوس لها، كما تذكرت رقة عاطفته الصادقة. أغمضت عينيها وهي تسترجع أحداث الليلة الماضية. وما تذكرته صدمها وأثارها في آن. لا شك أنها خسرت الكثير في الحريق، لكن مشاعر نيكوس الرقيقة ووقوفه إلى جانبها تعويض لا يمكن تجاهله.

كان توم الغيمة الوحيدة في السماء الصافية. عليها أن تخبره... شعرت بالخجل لمعاملته بهذه الطريقة السيئة، لكنها لطالما عرفت في صميم قلبها أنهما لا يناسبان بعضهما.

ـ أنت صاحية؟

أدارت كايتي رأسها، وقد أضاء وجهها انتظار وحماس لم تستطع إخفاءهما. كان نيكوس يقف إلى جانب السرير. فقالت له بخجل: «لم يكن يجدر بك أن تدعني أنام».

أجابها بدون أن ينظر في عينيها: «كنت بحاجة إلى النوم».

عندما تذكرت كايتي أنها حرمته لذة النوم بالأمس بسبب بكائها توردت وجنتاها: «آسفة إذا كنت قد حرمتك من النوم بالأمس».

أجابها بفتور: «أنا لست بحاجة للنوم لوقت طويل».

تنهدت بحسرة. حسناً، من الواضح أنّه رجل قوي ويمكنه تحمل مصاعب كالتي مرّت بهما الليلة الماضية. مع ذلك تعجبت كيف يبدو بهذا النشاط عند الصباح بعد ليلة كهذه؟

حدقت عيناها بلهفة إلى جسمه الناعم المبلل. فالرطوبة على هذه البشرة البرونزية جعلت عضلات صدره تبدو أكثر صلابة، وألقت الضوء على كل عضلة من عضلات ساعديه القويين.

عند رؤيته هكذا، اختفت شكوكها. على ما الندم؟ فالليلة الماضية كانت الأكثر روعة في حياتها. ثم إنه زوجها، فلما عليها تجاهل ذلك؟ أظلمت عيناها عندما تذكرت أنها استيقظت في الليل لتجده ينظر إليها. لم يتكلم أيّ منهما، فهما لم يكونا بحاجة للكلام.

ازدادت سرعة أنفاسها عندما أغمضت عينيها قليلاً وتخيلت أنها تلمسه... ما هذه الأفكار التي تراودها؟ إنها أفكار خطيرة. أملت ألّا يتكهن نيكوس بأي منها، لأن ذلك سيجعلها تبدو غبية وسيشعرها بالخجل. فتحت عينيها لتجد أنه لا زال واقفاً في مكانه يراقبها. التقت عيونهما، وكادت كايتي تشعر بنار الشغف بينهما. شعرت بالشرارات الكهربائية لانجذابهما تومض وتتلألأ. ثمّ اختفى كل شيء، وكأن أحدهم أطفأ النور. فقد بدا تعبير نيكوس... في الواقع، لم تشعر بالارتياح لكن ليس من جراء ما رأته في وجهه، بل مما لم يكن موجوداً فيه. لا يمكن أن يكون هذا طبيعياً.

ابتسمت له، لكنها لم تحصل على شيء بالمقابل. بالرغم من ذلك، شعرت كايتي بكمية هائلة من الحب تجتاح صدرها بينما كانت تنظر إليه. كانت العاطفة تتدفق من داخلها كثيفة لدرجة قطعت أنفاسها. شعرت

بحاجة ملحة لأن تشكره على اهتمامه بها الليلة السابقة. فعضت لسانها لئلا تتفوه بقول غبي: «رائحة القهوة شهية».

ـ سأحضر لك فنجاناً.

اضطربت إحدى العضلات في فكه القوي. فنظرت كايتي إليه بحيرة كبيرة، وقالت في سرّها: ربما سئم من وجودي هنا، ويود استعادة حياته الطبيعية؟.

ـ هل أيقظك رنين الهاتف؟

هزت كايتي رأسها وأجابت: «لا أظن ذلك».

أخذت نفساً مصمّماً وجهزت نفسها لسماع ما لا تريده: «ما الخطب يا نيكوس؟ هل فعلت شيئاً أغضبك؟».

كانت عيناه تتفحصان وجهها عندما أجابها بعنف: «أبداً، على الإطلاق».

لم تستطع كايتي أن تفهم سبب غضبه، لكنها شعرت بالأسف لأنه يعاملها بجفاء على عكس الليلة الماضية. فسألته: «لماذا إذاً...؟».

وقبل أن تتمكن من إكمال سؤالها، سمعت طرقة على الباب. لا بد أن الخدم احضروا مناشف نظيفة. لو عاد الأمر إليها لصرفتهم، لكن نيكوس دعاهم للدخول. فأبدت كايتي انزعاجها، ثمّ هدأت كثيراً عندما اقترب نيكوس وجلس بالقرب منها على السرير.

تنهّدت وابتسمت له. وبدون أن يتكلم شيئاً، جذبها نحوه بوحشية ثم نظر في عينيها وعانقها. فارتجفت كايتي وقالت: «هذا خطأ!».

ـ يبدو لي عين الصواب.

حاولت أن تخفي الذعر في صوتها فناداها: «كاترينا؟»

ضغطت بإصبعها على شفتيه وقالت: «أعرف ماذا ستقول».

ـ حقاً؟

هزت كايتي رأسها: «أشعر بالسوء تجاه توم أيضاً، لكننا لم نخطط لهذا».

ـ كاترينا...

ـ لا تتكلم، ليس الآن.

رجته بصوت أجش فتنهّد وعاد يعانقها، لكن عناقه هذه المرة كان فيه شيء من اليأس. شعرت كايتي بإحساس بدائي يجتاحها. كانت تتنفس بصعوبة، فأسندت جبينها إلى ذقنه، بينما ضمها هو بقوة.

ـ نيكوس، هل ستكرهني إن وقعت في حبك؟

أجفل نيكوس وشحب لونه وكأنها ضربته. فعلمت كايتي على الفور أن ثمة خطب ما ولم يطل بها الأمر حتى أدركت مدى سوء الوضع!

استدارت ورأت توم واقفاً في غرفة النوم، يحدّق إليهما والشحوب بادٍ على وجهه، وكأن عالمه انهار للتوّ.

ـ توم؟

شعرت كايتي بصدمة كبيرة. وأحست بالذنب لأنها مسؤولة عن تلك النظرة اليائسة في عينيه، فتمتمت: «أنا آسفة يا توم. آسفة جداً».

لم يجبها، بل استدار ورحل بخطى غير ثابتة.

استلقت كايتي في السرير، وراحت تضغط بيدها على شفتيها، وقد أغمضت عينيها بقوة. ومع ذلك، كانت ترى وجه توم، ترى خيبة الأمل التي رسمتها هي على وجهه. ثم جلست فجأة ومرّرت يداً مرتجفة في شعرها قائلة: «يجب أن ألحق به!».

ـ أشك كثيراً في أنه يرغب في رؤيتك.

استدارت كايتي لتواجهه وتعارضه، فصدمها لون بشرته الذي تحول إلى الرمادي، والنظرة المنطفئة لعينيه. لا بدّ أنه يشعر بالبؤس بقدرها، فتوم صديقه. شعرت كايتي بموجة من الذنب، وهذه المرة لأنها كانت منشغلة جداً بمشاعرها فلم تفكر بوقع هذا على نيكوس.

أحاطت وجهها بيديها: «ربما لاحقاً؟».

ضحك نيكوس، لكن وقع ضحكته لم يكن جميلاً، ثم نصحها: «فكري مجدداً. لقد وجدك للتو تعانقين صديقه».

ذكرها بذلك بطريقة عنيفة فأجفلت كايتي وغطت وجهها بيديها: «لم أشأ أن يكتشف الأمر بهذه الطريقة!».

ـ ربما هذا أفضل.

فركت صدغيها بعد أن وصل الضغط إلى مستوى حساس: «لا أعرف كيف. ما لا أفهمه هو كيف عرف أنني هنا؟».

ـ سمع عن الحريق في نشرة الأخبار المحلية واتصل بي ليسألني إن كنت أعرف أين أمضيت ليلتك.

هزت كايتي رأسها لتتخلص من الضباب الذي يبطىء أفكارها ويجعلها غبية: «اتصل بك؟».

فأكد لها نيكوس: «اتصل من البهو. وطلبت منه أن يصعد».

ـ طلبت منه... لا أفهم...

شعرت كايتي فجأة بالبرد والفراغ في داخلها، فحاولت أن تجد تفسيراً لوحشيته الغريبة: «ولكن لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟».

ـ يستحق توم أن يعرف أنك لا تحبينه.

ـ بالطبع يستحق ذلك، ولكن ليس بهذه الطريقة... ما كنت لأستمر بعلاقتي معه... لا يمكن أن أتابع تحضيرات الزواج بعد ما حصل بيننا ليلة أمس؟ لا! ظننت ذلك فعلاً، أليس كذلك؟

لم يجبها. فاعتبرت صمته إجابة معبرة.

ـ لقد نصبت لي فخاً!

لكن جزءاً منها لم يستطع تصديق ذلك. كيف يمكن أن يعانقها بهذه الطريقة ويخطط في الوقت نفسه لكي...؟ شعرت باليأس يتملكها.

تقدم نيكوس نحوها ثم توقف، فقد ابتعدت عنه وعلى وجهها تعبير كراهية.

ـ يجب أن تستلقي.

رمقته بنظرة ازدراء وأجابت: «يا لك من مهتم!».

ـ لم أخطط لهذا. يجب أن تصدقي أنني فقط...

ـ يجب ألّا أصدق شيئاً مما تقوله. أظنك استدرجت توم إلى هنا بالصدفة، وعانقتني على شرفه؟

قالت ذلك ببرودة. فقسا تعبير نيكوس: «لم يكن بإمكاني التأكد من أنك لن تعودي إليه. لم يكن بإمكاني السماح بذلك».

يا له من سافل! لم يحاول إنكار الأمر حتى!

ـ أظنك فخوراً بما فعلت؟ أظن أن ما فعلته نابع عن صداقة حقيقية. تعانق امرأة تكرهها لتنقذ صديقك من مخالبها الشريرة، وتظن أن هذا ما يفعله الصديق الحقيقي؟

ضغطت يدها على فمها وركضت إلى الحمام لتتقيأ. كانت قدماها ترتجفان وبشرتها باردة. نظرت إلى المنشفة الرطبة التي مدّها نيكوس إليهاوضحكت: «لا بد أنك تمزح...؟».

بدت شاحبة جداً حين مرت من أمامه وتعبيرها يعكس الازدراء.

ـ إن لم يكن لديك مانع، أرغب في الاستحمام...

لمحت انعكاس صورتها في المرآة، فلاحظت للمرة الأولى أنها ما زالت ترتدي ثوب الحمام، وأكملت قائلة: «وأحتاج إلى الثياب...».

فتحت المياه واستدارت مجدداً، بينما راح الجليد يتشقق ليظهر الألم المبرح تحته: هل خطط لهذا منذ البداية؟... خطط منذ البداية للإيقاع بي؟.

ـ أظنه سؤالاً سخيفاً، هل خططت لذلك... حتى أصغر التفاصيل؟

ـ بما في ذلك الحريق؟

ـ لا شيء مستحيل! لكنني أظن أن الحريق سهّل عليك الأمور.

أعلنت ذلك وهي تنظر إليه بكراهية فائقة، ثم أضافت في سرّها بمرارة: وأنا كنت سهلة أيضاً.

ـ لو أحببت توم حقاً لما تجاوبت مع عناقي ليلة أمس.

أعلنت بغضب: «توم يحترمني! ولكن أنت لا تعرف شيئاً عن الاحترام».

فأجابها بسخرية: «أنت محقة، لا أعرف شيئاً عنه. ربما لو لم يحترمك توم لهذه الدرجة، لما رحبت بي بهذه السهولة ليلة أمس».

دوى صوت الصفعة التي وجهتها إلى خده.

ـ واجهي الأمر يا كاترينا. علاقتك بتوم كذبة. ماذا كنت تتوقعين أن يحدث بعد زواجكما؟ هل كان الشغف سيتأجج فجأة، أم أنك مستعدة للتضحية بالحب من أجل الأمان والمال؟

ـ يمكنك أن تحاول تحريف الأمور كما تشاء يا نيكوس، لكننا نعرف أن تصرفك كان منحطاً.

ـ لم أجبرك على القيام بشيء لا تريدينه. ولم أقترح شيئاً لم تكوني تفكرين فيه منذ التقينا مجدداً.

وراحت عيناه الحارقتان تتفحصان وجهها: «وكلانا يعرف أنني إن لمستك الآن فسوف تتجاوبين معي».

فهمست كايتي: «أنا أكرهك».

ـ لأنني أقول الحقيقة؟ إن كنت مهتمة حقاً بالراحة التي يؤمنها المال، فأنا أغنى من توم بكثير.

شعرت كايتي بموجة من الغضب تجتاحها: «تظن أنّ بإمكانك شرائي؟».

ـ لا تكوني حساسة إلى هذا الحد. ليس هذا ما أحاول قوله.

حاول نيكوس أن يحافظ على هدوئه في وجه تصميمها على تحريف كلامه: «أقول فقط إن المال ليس مشكلة فأنا قادر على تأمين حياة رغيدة لك. وبعكس توم، ليس لدي مشكلة إذا رغبت في العمل».

هل هو جاد في ما يقول؟

ـ يا لشهامتك ونبلك!

شعر نيكوس أن سيطرته على نفسه تتلاشى: «ربما يجدر بنا التكلم في هذا لاحقاً عندما تهدئين».

ـ أنا أريد أن أتكلم الآن. لن نلتقي مجدداً، على الأقل ليس بدون محام.

دعني أستوضح أمراً... هل تطلب مني أن أكون عشيقتك؟

ـ أنت زوجتي.

ضحكت كايتي ثم قالت له بصوت مرتجف: «ليس لوقت طويل. لا يمكنني تحمّل البقاء في الغرفة ذاتها معك!».

فضاقت عيناه وهدّدها: «إن رحلت الآن، فلن أعود أبداً».

تنهّدت كايتي وأجابت: «أخيراً. بصيص أمل في نهاية النفق!».

ـ سوف تشتاقين إلي لبقية حياتك يا كاترينا.

سمعت كايتي الباب يقفل بعنف. أدركت أنه على الأرجح محق في ما قاله، فهي امرأة وفية لرجل واحد. ولسوء حظها، اتضح أنّ هذا الرجل سافل غير جدير بالثقة!

***

٩ ـ لا توقّعي!

قالت لها جورجينا: «هناك امرأة ترغب في رؤيتك يا كايتي. تبدو ثرية للغاية»!

حاولت كايتي إضفاء القليل من الحياة على صوتها الحزين عندما أجابت: «وهل لهذه الثرية اسم؟».

بالرغم من غيمة الكآبة التي تطفو فوق رأسها، حاولت كايتي أن تحافظ على طبيعتها المرحة في العمل. عرّفت المرأة الأخرى عن نفسها بحماس: «أدعى سي جي مالون. تعرفينني، أنا مصممة الأزياء».

أجابت كايتي وهي تفكر بالفستان الأزرق: «نعم أعرف».

ـ في الواقع، اسمي هو كايتلين لايكس. مالون كانت شهرتي قبل الزواج.

فسّرت لها ذلك المرأة الطويلة التي دخلت المكتب بثقة وهي تمد نحوها يدها. هبت كايتي واقفة، وقد غاب كل أثر للون من خديها.

ـ سيدة لايكس.

استعملت ذلك اللقب مع أنها تدرك عدم دقته، إذ أنها ما زالت تملك الأوراق التي ستحرر نيكوس ليتزوج من أخرى.

راحت المرأة التي تحمل هذا الاسم تتفحص كايتي بحشرية ودودة. فشعرت كايتي أن من العدل أن تنظر هي أيضاً إليها. لكن لم يساعد ما اكتشفته على تخفيف الألم في صدرها، إذ لم تجد أي عيب في المرأة الأخرى. اعتقدت كايتي أن العروس المناسبة لنيكوس ستكون يونانية. وفوجئت

لرؤية هذه المرأة الطويلة، ذات الشعر الأحمر، والعينين الخضراوين، واللكنة الإيرلندية. ربما كانت جميلة وهي في العشرين من عمرها لكنها الآن في... منتصف الثلاثينات، ولم تجد الكلمات لوصفها. إنّها رائعة، بكل بساطة.

لمع في عيني كايتلين وميض استغراب عندما سمعت كايتي تحييها بهذه الطريقة، لكنها لم تعلق على الأمر.

ـ اجلسي يا عزيزتي، تبدين شاحبة... أردت أن أكلمك على انفراد.

وبدون أن تسأل، جلست قبل أن تضيف: «هل تمانعين إن كنت صريحة معك؟ سنوفر الوقت».

ـ إذاً نيكوس أخبرك عني؟

ـ أخبرني أنكما متزوجان. مضى على زواجكما سبع سنوات ولم يقل شيئاً... لا يمكنك أن تتصوري كم شعرت بالصدمة.

ـ بل يمكنني أن أتصور.

لا بد أن هذه أغرب محادثة ستجريها في حياتها.

ـ وعندما أخبرني، علمت على الفور أنه فعل ذلك من أجلي. لو علمت بذلك، لما أخذت المال أبداً. ولكن الأوان فات الآن.

ـ لا أفهم. ما علاقتك بزواجي بنيكوس؟ تزوجني من أجل المال.

فتنهدت كايتلين: «مال كنت أنا بحاجة إليه. كان عملي في خطر. فقد تصرفت بطيش. وكان زواجي يمرّ بفترة عصيبة».

ـ كنت متزوجة؟

ـ وما زلت.

ـ وهل يعرف نيكوس ذلك؟

قطّبت كايتلين حاجبيها: «اسمعي، من تظنينني؟».

ـ المرأة التي سيتزوج بها نيكوس.

ارتسمت في عيني كايتلين نظرة تفهم وضحكت: «يا ابنتي العزيزة، أنا زوجة أبيه».

تورّدت وجنتا كايتي من الخجل: «أشعر أنني غبية».

ـ لا لزوم لذلك، فهذا جعلني أشعر بالإطراء. قصدت نيكوس لأني لم أعرف إلى من ألجأ. لو أعلنت إفلاسي لما سامحني سبايروس أبداً. ولو طلبت منه أن يدفع المال لتأكدت شكوكه بأنني تزوجته من أجل ماله. والنتيجة ستكون نفسها في كلا الحالتين: ينتهي زواجنا. وافق نيكوس على إيجاد حل لكنه لم يستطع أن يلجأ إلى الوسائل المعتادة لأن سبايروس كان سيعرف بالأمر. طلبت من صديقي هارفي المساعدة، فكنت أنت الحل. مع أنني أقسم أنني لم أعرف.

حدّقت كايتي إليها، وقد باتت الآن تعلم لما تزوجها نيكوس. لكن الماضي، مهما كان رائعاً، لا يغير الحاضر. نيكوس يريد الطلاق، وهذا سبب وجود كايتلين هنا على الأرجح، لتسريع الأمور.

ـ حسناً. سأوقّع أوراق الطلاق هذا الصباح. لذا يمكنك أن تقولي لنيكوس إنه لن ينتظر طويلاً.

ـ يا إلهي! لا تفعلي ذلك!

نظرت إليها كايتي وهي لا تفهم شيئاً: «عذراً؟».

قطّبت الجميلة ذات الشعر الأحمر حاجبيها وقالت: «يا فتاتي العزيزة، هذا ما أتيت من أجله. أرجوك، لا تمنحي نيكوس الطلاق... على الأقل، ليس الآن».

هذا الطلب الغريب جعل كايتي تظن أنها لم تسمع جيداً: «لا أفهم».

تنهدت كايتلين وقالت: «لا يفاجئني هذا. لا بدّ أنه طلب غريب جداً بالنسبة إليك، وهو على الأرجح غير مناسب. أخبرني نيكوس أنك تخططين للزواج قريباً؟».

تورّدت وجنتا كايتي وقالت: «لا، ليس لدي أي مخططات».

ـ ولكن نيكوس قال إنه سوّى الوضع مع صديقك. مع أنني لا أعرف ما قصد بهذا.

ـ لم تستقم الأمور بالنسبة إليّ.

شرحت لتوم أنها لا ترغب في الزواج منه رغم أنه سامحها. وكان ذلك

أصعب ما قامت به في حياتها. شعرت أنها ممتنة لنيكوس فقد كان محقاً في أمر واحد: إنها ليست مغرمة بتوم، ليس بما يكفي ليكون زواجهما ناجحاً. أما توم، فقد كان مغرماً بصورة لا وجود لها.

ـ هل هذا صحيح؟

ـ اسمعي سيدتي...

ـ كايتلين. أرجوك ناديني كايتلين.

ـ اسمعي، لا أريد أن أبدو فظة... ولكنني لا أفهم لما ترغبين بتأجيل الطلاق.

ـ إن وقّعت المستندات، فسيتزوج نيكوس من تلك الفتاة البائسة ليفيا. هذا أمر مؤكّد.

لشدة ما كانت كايتلين متوترة، أصبحت لهجتها الإيرلندية أعمق: «وأنا لن أسامح نفسي أبداً إن تركته يفعل ذلك بدون أي محاولة لإيقافه. فهذا الزواج سيدمر الصبي وأنا أحبه جداً».

كانت كايتي قد فهمت ذلك، فأكملت كايتلين: «ما أحتاج إليه هو الوقت لإيجاد خطة، وأنت يمكنك منحي هذا الوقت. لا أظنك تملكين أي فكرة؟».

كان انبهار كايتي يزداد، فهزت رأسها بقوة. لا مجال لتورطها في مخططات كايتلين لايكس، مع أنها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالرضى لأن العروس التي اختارها نيكوس لا تلاقي الترحيب والموافقة.

ـ الآن فهمت ما قصده نيكوس عندما قال إن زوجة أبيه مازالت قوة فاعلة في حياته.

ـ هل قال ذلك حقاً؟ هذا لطيف. أتعلمين، فكرت للتو بشيء قد ينجح، مع بعض الإرادة.

ظهر في عينيها لمعان كان ليجعل كايتي تقلق لو أنها تعرفها أكثر.

ـ أخشى ألا يكون هذا ممكناً. ليس... لمَ تنظرين إلي هكذا؟

ـ أنت لا تبدين من الفتيات القاسيات اللواتي قد يدعن رجلاً رائعاً

كنيكوس يعيش حياة بؤس مع المرأة غير المناسبة. . . ؟

ـ نيكوس راشد كفاية ليتخذ قراراته بنفسه.

قالت كايتي ذلك ثمّ أضافت في سرّها: ويترك الآخرين يتحملون العواقب.

ـ تظنين إذاً أنني عجوز تتدخل في ما لا يعنيها؟

ضحكت كايتي. . . فهي لم ترَ أحداً في حياتها أكثر حيوية وشباباً من كايتلين.

ـ على الأرجح أنني كذلك فعلاً، ولكن الأمر لن يتطلب الكثير. أنا متأكدة من أن الشكوك تراوده فعلاً، لكنه عنيد ولا يعترف بالأمر، فهو من عائلة لايكس. إنه يعجبك، أليس كذلك؟

جعلت هذه الإضافة الماكرة كايتي تبعد نظرها، غير قادرة على متابعة التواصل بينهما: «لعل الأمر تخطى الإعجاب. . ؟».

تورّدت وجنتا كايتي ووقفت: «أنا آسفة، لا يمكنني مساعدتك».

فوقفت كايتلين أيضاً واعترفت بصراحة: «وأنا أيضاً آسفة. ولكن هل يمكنك التفكير في الموضوع؟

ثمّ وضعت بطاقتها على الطاولة وأضافت: «أنا أنزل هنا إن أردت الاتصال بي».

ثم ابتسمت واستدارت لترحل.

ـ هل نيكوس. . . ؟

واجهتها المرأة مجدداً. فأخذت كايتي نفساً عميقاً: «هل ذكرني على الإطلاق؟»

طرحت هذا السؤال مع محاولة فاشلة لإظهار عدم اكتراثها.

ـ بالكاد فعل، بالرغم من محاولاتي.

رفعت كايتي رأسها. منعتها عزة نفسها من إظهار تأثير هذه الكلمات عليها. وقالت لنفسها: لمَ أنت مصدومة؟ عرفت مسبقاً أنه لا يهتم لأمرك.

ـ وهذا بحد ذاته معبّر، ألا تعتقدين ذلك؟

رفعت كايتي نظرها وقد فاجأتها هذه الكلماتِ الرقيقة. فابتسمت لها كايتلين، وفي عينيها الكثير من التفهم، ثم أضافت: «كما أن مزاجه كان سيئاً للغاية في الفترة الأخيرة. أعرف أنني متطفلة، ولكن في النهاية، تزوجك بسببي أنا، لذا أشعر بالذنب».

تنهدت كايتي بعمق. كانت تظن أنها تخطّت هذا الموضوع. لكن زيارة كايتلين أثبتت أن جراحها ما زالت مفتوحة!

* * *

أغمضت كايتي عينيها وقد شعرت وكأنها ستقع من السماء. من الواضح أن كايتلين لم تتصور أنها لم تسافر بالهيليكوبتر من قبل. إذاً، ماذا ستكون ردة فعلها إن علمت أن كايتي لم تسافر جوّاً من قبل على الإطلاق؟

فكرت كايتي بسخرية في أن لا أحد قبلها حصل على هذا الاهتمام. أولاً، الطائرة النفاثة التي نقلتها إلى أثينا، والآن هيليكوبتر سبايروس لايكس، تحلق بها فوق اليخت. . .

لا عجب في أن ينتابها شعور بأنها تعيش أحداثاً خيالية.

مضى على اتصالها بكايتلين ثمانٍ وأربعين ساعة، لتقول لها إنّها تريد أن تكلم نيكوس بنفسها.

لم تسأل المرأة الأخرى كايتي عما جعلها تغير رأيها، لكن كايتي أدركت أنها ربما تشك بالموضوع. فقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة متفهمة عندما أعلنت كايتي موافقتها.

لقد وجدت نفسها حاملاً. نظرت إلى الأسفل، وشعرت بالغثيان مجدداً. لم تفكر حتى بإمكانية عدم إخباره. فهو يستحق أن يعرف.

لم تعرف ما الدور الذي قد يرغب في لعبه في حياة طفله. وهي مستعدة لأن تكون متفهمة إلى حدّ معين. إلّا أنها لن تسمح لامرأة أخرى بتربية طفلها!

* * *

١٠ ـ وأنت، بماذا تفكرين؟

كانت لائحة الضيوف تجمع الأغنياء والمشاهير، فالتقى رجال السياسة والشخصيات الإعلامية البارزة مع المشاهير في عالم الأزياء والبرامج الترفيهية.

قدمتها كايتلين على أنها «صديقة عزيزة للعائلة». ابتسمت كايتي للجميع وراحت تتصرف بثقة تامة. تجنبت لفت انتباه الآخرين إليها بالنظر مطوّلاً إلى اللوحات الزيتية المعروضة على الحائط، والتي لم تر مثيلاً لها إلا في المعارض الفنية.

كانت ترتدي أحد أزياء كايتلين لأنيقة بالرغم من بساطتها الفائقة، وقد رفعت شعرها في عقدة صغيرة فوق رأسها. لاحظت أن شخصاً مميزاً، طويل القامة فضي الشعر، ينظر إليها منذ دخلت الغرفة. تساءلت إن كان عليها مواجهة هذا الغريب الوقح عندما سمعت اسماً يتردد بين الحاضرين: نيكوس!

شحب لونها بقوة رغم مساحيق التجميل التي تغطي وجهها. فقالت لنفسها بغضب: حاولي أن تهدأي يا كايتي. إن كنت ستفقدين صوابك لمجرد ذكر اسمه، فماذا ستفعلين عندما تواجهينه شخصياً؟.

أصبحت مقتنعة الآن أن كايتلين محقة، وأن نيكوس سيحضر الحفلة.

ـ على الأقل، هذا ما تقوله زوجتي...

توقفت كايتي منذ بعض الوقت عن سماع حديث الرجل الواقف إلى جانبها لذا لم يكن لديها أي فكرة عما يقوله. لكن بدا واضحاً أنه ينتظر

إجابتها.

ـ أظن أن الألوان الفاتحة هي موضة هذه السنة!

لم تدرك كايتي أنها لم تعد بصحبة الصحفي إلا بعد أن تفوهت بهذا التعليق السخيف. لكن الديبلوماسي الرفيع كان مهذباً، فادّعى أن عليه الانتقال إلى مكان آخر.

فتح رحيله السريع فسحة بين الجموع حتى الطرف الآخر من الغرفة. فظهر شخص طويل آمر، بدا وسيماً بشكل لا يصدق ببزته القاتمة وربطة عنقه السوداء. بدا تماماً كما يجدر به: رجل غني نافذ ليس من مستواها.

حاولت الشقراء الواقفة إلى جانبه لفت انتباهه لكن عبثاً فقد تركزت عينا نيكوس القاتمتان والمثيرتان على وجه كايتي. وشعرت كايتي بالمشاعر القوية تشع من وجهه، بالرغم من بعد المسافة بينهما.

بعد لحظات، حُجب وجهه عنها، لكن رأسه بقي ظاهراً فوق الحشد. تآكلت كايتي موجة من الذعر إذ حاولت إبقاء نظرها على ذلك الشعر المميز، بينما بدأ نيكوس يشق طريقه بين الجموع. وفي اللحظات القليلة التي غاب فيها عن نظرها، أضاعته.

ما بدا لها فكرة جيدة عندما كانت في انكلترا لم يعد كذلك الآن. إن كان من الغباء أن يلعب المرء بشيء قابل للكسر، فمحاولة إصلاح ما تحطم منتهى الغباء!

راح كل شيء فيها يدعوها للهرب. لكن ما منعها من ذلك هو أن كايتلين تكبدت الكثير من العناء لإحضارها وتسهيل اللقاء بينهما. كما أنّ كايتي تدرك أنها حتى لو هربت، فسيجدها نيكوس أينما كانت. قالت لنفسها: نفّذت كايتلين الجزء المتعلق بها. والآن حان دوري.

كانت قد حضرت ما ستقوله، وتمرنت عليه إلى أن حفظته حتى مع اللهجة المناسبة. لكن الآن وقد حانت اللحظة الحاسمة، استحال تفكيرها صفحة بيضاء! رفعت كأسها بعصبية إلى شفتيها فوجدتها فارغة.

قالت بدون تفكير للنادل الذي ملأ كأسها: «شكراً لك. لكني في

الواقع كنت أشرب المياه المعدنية».

ثم رفعت نظرها مبتسمة لتكتشف أن من يقف أمامها مع زجاجة شراب في يده لم يكن نادلاً. وفرغت رئتاها من الهواء عندما رأته.

لم يلاحظ أي منهما أن كأس كايتي أفرغت محتواها على السجادة السميكة ثم انزلقت من بين أصابعها.

ـ مرحباً نيكوس.

لم يكن نيكوس يحب الشكليات المهذبة فاكتفى بالنظر إليها. لم تطرف عيناه بينما راحتا تتفحصان أدق تفاصيل وجهها باهتمام بالغ، فوجدت كايتي عذراً لتنظر إليه هي أيضاً. لم تدرك حتى الآن كم هي مشتاقة إليه.

عاد كل شيء فيها إلى الحياة عندما رأته. بدا لها أن الألوان اختفت من حياتها عندما ابتعد عنها. فالعالم يبدو أكثر إشراقاً وهو بقربها. تسارع نبضها فجأة، وهي تلاحظ وسامته التي تقطع الأنفاس. آلمها حلقها وتقلصت عضلات معدتها بينما راحت عيناها تلتهمانه بنظراتهما.

كلا، كانت محقة بمجيئها. يجب أن تدعه يقرر بنفسه ما إن تصارحه بمشاعرها نحوه. من يدري؟

لكنه بقي صامتاً. فلم تستطع كايتي تحمل التوتر لوقت أطول: «ألن تسألني ماذا أفعل هنا؟»

رأت كايتي صدره يتحرك. هل يدل ذلك على أنه عاد يتنفس من جديد؟ كانت عيناه حارقتين عندما ارتسمت على شفتيه ابتسامة خطيرة سرعت نبضها.

ـ لا.

وقطع المسافة التي تفصلهما ثم أمسكها من كتفيها بحركة سريعة. شدّ أصابعه وغرزها في كتفيها، لكن كايتي بالكاد شعرت بالألم. كان بإمكانها سماع صوت نبضات قلبه... أم أنه قلبها هي؟ ثم سمعته يهمس: «أنت حقيقية... ظننت أنني أحلم مجدداً».

أمسك ذقنها بإصبعيه ورفع رأسها. طالبتها نظرته الشرسة بردود لكن

كايتي لم تكن تخفي شيئاً! هذا ليس المكان المناسب لتفصح فيه عن مشاعرها.

كانت كلّ خلية من خلايا جسمها تنبئها بأنهما قد خلق لبعضهما البعض، فهي امرأة تخلص لرجل واحد ونيكوس هو ذلك الرجل.

كان نظره لا يزال يأسر عينيها عندما عانقها. غمرها اشتياقه الكبير إليها. وما إن تلامس جسماهما، حتى شعرت بالضعف، لكن الحياة عادت لتدبّ فيها مجدداً بعد لحظات..

ابتعد عنها فجأة، فشعرت بالضعف والفراغ. لكنها ما لبثت أن استعادت قوتها عندما لاحظت أن الغرفة غرقت في صمت مطبق. كان الجميع ينظر إليهما... وأمكنها أن تحزر ما يجول في خاطرهم فتمنّت أن تنشق الأرض وتبتلعها!

نظر نيكوس إلى وجهها المتورّد بقوّة وأطلق شتيمة بصوت منخفض. ثم أحنى رأسه نحوها وهمس لها بقسوة: «تبدين كالدجاجة المشلولة. ارفعي رأسك! أظهري بعض الكرامة. لن أسمح بأن تكوني جبانة».

ـ وكيف ستمنعني من ذلك؟

لن يسمح! إنه معتاد على تناقل وسائل الإعلام لتحركاته، ولا يهتم أبداً لما يفكر فيه الآخرون.

قابل نيكوس نظرتها الغاضبة بابتسامة مشرقة رائعة وقال موافقاً على تصرفها: «هذا أفضل بكثير».

ثمّ وضع يده حول كتفيها وجذبها إليه: «أظننا سنتابع هذا الحديث في مكان آخر بدون شهود».

ـ من المؤسف أنك لم تفكر بذلك قبل أن تعانقني.

قال بسخرية: «لم أفكر بشيء أبداً قبل أن أعانقك».

ـ هذه الغرفة لطيفة.

أجابها نيكوس بدون أن يرفع عينيه عن وجهها الرقيق: «إنه مكتب أبي».

فمرّرت يدها على كتاب مغلف بالجلد: «ألن يمانع في وجودنا هنا؟

يبدو هذا الكتاب قديماً».

ـ هذه النسخة الأولى.

أنزلت كايتي يدها عن الكتاب. لا بد أن قيمته كبيرة جداً. لم يكن الفارق الاجتماعي بينهما بهذا الوضوح من قبل.

ـ أين توم؟

كانت كايتي لا تزال تشعر بدفء عناقه فاستدارت ونظرت إليه غير مصدقة. يا له من سؤال! وتأجّج الغضب في داخلها: «لماذا؟ هل توقعت أن تلعب لعبة ثلاثية الأطراف؟».

فقال لها بحزم: «لا أحب أن تتكلمي بهذه الطريقة».

ـ وكأني أهتم كثيراً بما تحبه ولا تحبه!.

كان الاعتراف البسيط بالحب يبتعد عن تفكيرها بسرعة: «أظن أن الوقت المناسب للتفكير بتوم كان قبل أن تعانقني بهذه الوحشية أمام كل ذلك الحشد، وليس بعده!».

بالكاد سمع نيكوس ما قالته. كانت وجنتاه متوردتين وهو يتذكّر عناقهما الأول، حين بدت في غاية الضعف حتى أنها كادت تذوب بين يديه.

ـ آسفة. ألم يكن يفترض بي أن أذكر أنك عانقتني بوحشية؟

ـ وأنت تجاوبت مع عناقي، لم يبدُ عليك الانزعاج أبداً.

بدا راضياً عن ذلك ثم أضاف بإصرار: «توم ليس هنا؟».

بدا لها أنّ ذكاءه الحاد لم يكن يعمل إذ لم يستطع فهم أمر بديهي جداً. فتنهّدت كايتي بنفاد صبر، واستدارت لتواجهه بنظرة ساخرة: «توم؟ كلا. يبدو أنه ليس هنا. وهل خطيبتك هنا؟ أتوق للتعرّف إليها!».

ـ حس الفكاهة لا يناسبك أبداً. بعكس هذا الفستان.

ابتلع ريقه وأبعد نظره عن جسمها الجميل ثم أضاف: «ماذا تفعلين هنا يا كاترينا؟».

فاتسعت عينا كايتي ببراءة: «ألا يجب أن تكون المرأة إلى جانب زوجها؟».

ـ كنت أتساءل لما لم ترجعي أوراق الطلاق...؟

ـ في الواقع، أنا أؤمن كثيراً باللمسة الشخصية والتسليم يداً بيد.

ـ هل تريدينني أن أكلم توم مجدداً؟

لو لم يكن يحبس أنفاسه، لاعتقدت كايتي أنه غاضب. عندما لاحظ نيكوس سكوتها أكمل كلامه: «ظننت أنني جعلته يرى...».

ـ يرى ماذا؟ أنّ خيانة «بسيطة» من صديقه وخطيبته أمر مقبول؟ وأن علاقة عابرة سريعة لا تعني شيئاً؟

تجهّم وجه نيكوس فأرخى ربطة عنقه ودسّ يديه في جيبيه، ثم أعلن: «سأكلمه مجدداً إن كنت ترغبين بذلك».

عاد إلى التدقيق مجدداً. ماذا يظنها تود أن تسمع...؟ قالت لنفسها: يا لك من رجل غبي!

أخذت كايتي نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على إرخاء قبضة يدها: «لا حاجة لذلك، فتوم كان متفهماً للغاية. اقتنع بأنّ تصرفي أتى كرد فعل على الصدمة الناتجة عن اقترابي من الموت».

ـ ولكنكما لستما معاً؟

قياساً للمجهود الذي بذله كي يبقيهما معاً، بدا نيكوس مسروراً لأنها وحدها. زال عنه التوتر، ففك أزرار سترته.

قالت بمرارة: «ربما لا أريد الزواج برجل متفهّم إلى هذا الحد. يمكنك اعتباري غريبة الأطوار، ولكنّني لا أظنه تصرفاً سليماً أن أفكر برجل آخر عندما أكون مع زوجي».

ظهر خط أبيض حول شفتي نيكوس وشعر بضيق شديد فمرّر أصابعه في شعره: «أي أنك ستتزوجين توم؟».

أجابته بنعومة: «تبدو متضايقاً يا نيكوس».

في الواقع، بدا غاضباً لدرجة الاشتعال ثم تابعت: «تتصرف بغرابة، ألا تظن ذلك؟ ألم يكن من المفترض أن أفعل؟».

هزّت رأسها وتابعت: «أعني أنك حاولت جهدك لتهدئة الأمور فبدا

هذا أقل ما أفعله لأرد المعروف».

ـ لا تتكلمي وكأنك ساقطة...

ـ لَمَ لا؟ أنت تعاملني كذلك.

ـ إن استمريت بالتكلم معي بهذه الطريقة، فعليك أن تتحمّلي العواقب.

ـ أنا أرتجف!

وهزّت رأسها غير مصدّقة ثم أكملت: «لا شك أنك بارع لتتمكن من إقناع توم بوجهات نظرك. ولكن هذه المرأة المنبوذة بالذات لا ترغب في أن تتناقلاها كالسلعة. لست بحاجة إليك ولا إلى أي شخص آخر لكي يقدم الأعذار عني! بإمكاني تحمل عواقب أفعالي...».

ولكن هل يمكنه هو ذلك؟ هذا هو السؤال الهام.

ـ قلت إنك إن تزوجت من توم، فستفكرين برجل آخر...

أعاد كلماتها بدقة متناهية فقالت كايتي لنفسها: علمت أنه من المستحيل ألا يلاحظ.

ـ لا أذكر ما قلته.

فقال بصوت أجش: «أنا أذكر. هل يمكن أن يكون هذا الرجل أنا، كاترينا؟».

ـ أنت تقدر نفسك جداً، أليس كذلك؟

ـ بما أنني الرجل الوحيد الذي اقترب منك، يبدو هذا الاستنتاج منطقياً.

ـ كيف تتأكد من أنني لم أكن أفكر برجل آخر عندما كنت معك؟

رفع نيكوس رأسه وضحك بثقة فائقة بالنفس. وهو محق تماماً فهو يمحو أي رجل آخر من رأس المرأة التي يكون معها. فبدا على كايتي الانهزام: «حسناً، لم أكن أفعل».

ـ قبل أن نتابع حديثنا، أظن عليك إخباري لما أنت هنا.

أدركت كايتي أنها لن تتمكن من قول الحقيقة الآن وقد حان الوقت.

فاتهمت نفسها: أنت تخشين ردّ فعله. أنت جبانة.

ـ أكرر، لماذا أنت هنا؟ أطالب بالإجابة.

كانت كلمة «أطالب» هي الحاسمة، فشعرت كايتي بالغضب يعميها: «هذه مشكلتك. لا تطلب بلطف».

فتجهم وجه نيكوس وتوترت عضلة في خده وتصلّب فكه. راقبت كايتي علامات الخطر هذه... القليل من الضغط بعد وينفجر. وتمنت للحظة أن تمارس هذا الضغط المطلوب، لكنّ المنطق طغى على إحساسها: «حسناً، إن كان لا بدّ أن تعلم، فكايتلين دعتني».

هزّ نيكوس رأسه: «ماذا؟... لا. هذا غير ممكن. أنت لا تعرفين كايتلين».

ـ أعرفها الآن. تقابلنا مؤخراً. وأخبرتني لما تزوجت بي.

تصلّب جسم نيكوس: «لم يكن يجدر بها إخبارك».

ـ لا. كان عليك أنت أن تفعل.

ـ لا أظنها أخبرتك أنّ أخي هو من تسبب بإفلاسها؟

رأى نيكوس اضطراب كايتي فهز رأسه: «لا. بالطبع لم تفعل. لطالما كره أخي كايتلين. لم يكن يحب أن يشارك أبي مع أحد».

ـ ولا حتى معك أنت؟

نظر إليها نيكوس بحدة، ثمّ أعلن ببطء: «ولا حتى معي أنا. كان ذكياً، فلم يقم بإطلاق الشائعات عن كايتلين. ولكن كانت لديه طريقة في قول الأشياء بطريقة مبطنة...».

ارتجفت كايتي. بدا لها الشقيق المتوفي شخصاً بغيضاً.

ـ لذا، كما تلاحظين، أخي هو من خلق المشكلة.

ـ وأنت شعرت أن من واجبك إصلاح الضرر الذي ألحقه أخوك بكايتلين مهما كلفك الأمر.

تنهدت كايتي فقد بدأت تعرف نيكوس على حقيقته: رجل ذو مبادىء راسخة يحمي من يحبهم.

ـ أظنك تعرفين أنت أيضاً معنى الواجب؟ ومعنى تسديد دين شقيقك؟

تفاجأت كايتي وشحب لونها: «كيف؟»

فأجابها: «من السهل تتبّع آثار المال إن عرف الإنسان أين يبحث. أما بالنسبة للباقي، فخمّنت ليس إلا».

أغمضت كايتي عينيها: إنه يعرف.

وابتلعت دموعها ثم هزت رأسها. لم يكن نيكوس ينظر إليها بحقد وسخرية كما خشيت، بل بدفء وتعاطف فاعترفت له: «لم يستطع العيش وهو يعرف ما ارتكبه».

شعرت كايتي بالراحة لتمكّنها من إخبار أحد بالأمر بعد كل تلك السنوات.

ـ وتركك وحدك تسوين الضرر. صغيرتي المسكينة...

ـ لا أريد شفقتك يا نيكوس.

ـ ليس هذا ما أريد أن أمنحك إياه.

انتظرت لكي يكمل إعلانه المبهم. لكن عندما لم يتكلم، قالت أول ما خطر ببالها: «ووالدك قديس، أليس كذلك؟».

في الواقع، كانت تسمية سبايروس لايكس قديساً كوصف الأسد باللطيف. لكن كايتي أحبت ذلك الرجل القوي الصامت الذي بدا مجنوناً بحب زوجته.

كان نيكوس ينظر إليها مفتوناً: «رأيت والدي؟»

وفهم فجأة معنى وجودها: «أنت ضيفة على هذا اليخت؟».

ـ حسناً، لم أصعد على متنه سراً، ولن أغادر! فأنا ضيفة والديك سواء أعجبك ذلك أم لا. وسأرحل فقط عندما يطلبان مني ذلك.

ـ هل قلت إنني أريدك أن ترحلي؟

ـ لا، ولكن...

ـ ولكن لا شيء... في أيّ خطة مجنونة ورطتك كايتلين؟

من الواضح أنه يعرف زوجة أبيه حق المعرفة.

ـ ليست راضية عن مخططاتك للزواج بليفيا تلك... طلبت مني ألا أوقّع الأوراق لأعطيها الوقت...

فأنهى نيكوس جملتها بصوت جاف: «لتتدخّل».

شعرت كايتي باضطراب شديد لموقفه الهادىء المفاجىء. يكاد يكون مسروراً! لم يخيّل إليها أنه يسمح للآخرين بالتدخّل في حياته بسهولة.

ـ لم توقّعي الأوراق إذاً.

ثم ضاقت عيناه وأردف: «ولكن هذا لا يفسر وجودك هنا».

فأجابته بوقاحة: «أردت أن أرى كيف يعيش النصف الآخر».

ـ وهل يعيش بالطريقة التي توقّعتها؟

ـ أشعر بأنني لا أجد التعبير المناسب.

مدّ نيكوس يده ومرر أصابعه على بشرتها الناعمة، ثم أخبرها وهو ينظر إليها بجدية بالغة:

ـ ليس عليك أن تثبتي شيئاً لأحد، تذكري ذلك. والآن، لما أتيت حقاً؟

ـ ظنت كايتلين أنني أستطيع إلهاءك.

تبع كلامها صمت طويل يثير الأعصاب، ثم أجاب نيكوس ببطء: «قلت ذلك بطريقة مدروسة للغاية».

ـ لا تقلق. لم أوافق. لا داعي لأن تصاب بالهلع.

يا لها من نصيحة مضحكة. فقد بدا قوياً متماسكاً، فيما كانت هي على وشك الانهيار.

ـ لست هنا لأغريك يا نيكوس.

لم يكن في صوته أي أثر للعاطفة، حين قال: «أشعر بالاطمئنان».

ـ أنت رجل ناضج، ويمكنك أن تقرر مع من تريد أن تمضي بقية حياتك.

ـ بقية حياتي؟

ظهر تعبير غريب على ملامحه الجامدة.

ـ حسناً، هذه ماهية الزواج، أليس كذلك؟ لا بد أنك فكرت بالأمر.

ـ كما فعلت أنت بدون شك عندما قبلت عرض توم بالزواج.

كانت إجابته ذكية. فردت كايتي شعرها الحريري الطويل إلى الخلف ورمقته بنظرة عدائية: «يمكنك أن تتزوج من تريد. ولكن قد لا يكون الأمر سهلاً بعد أن... تعرف...».

ـ أعرف ماذا؟

أطلقت كايتي تنهيدة غاضبة. لن تقبل أكثر الفتيات غباء وتحرراً برؤية زوجها المستقبلي يعانق امرأة غريبة بشغف. وتسللت إلى عينيها نظرة حالمة شاردة... كان شغوفاً بالفعل، أليس كذلك؟

ـ ألا تظن أنه من الأفضل لك أن تذهب وتشرح لليفيا أمر... أنت تعرف... العناق؟

تهربت عيناها المغرورقتان بالدموع من عينيه. فأجابها نيكوس بتعبير جعل معدتها تتقلص: «وماذا أقول لها بالتحديد؟ إنني رأيتك ولم أفكر إلا بمعانقتك والبقاء بقربك؟».

ـ نيكوس؟

خرج اسمه همساً من بين شفتيها، فحذرها بصوت أجش: «لا تنظري إلي هكذا حبيبتي، وإلا فلست مسؤولاً عن العواقب. لن أفسر شيئاً لليفيا لأنها لم ترني أعانقك».

ـ رأيت...

ـ لم تكن ليفيا.

أزال نيكوس فكرة وجود الشقراء بلمحة بصر، ثم اعترف بهدوء: «وحتى لو رأتني، لن أفسر لها شيئاً. فقد قررنا أننا لا نليق ببعضنا».

ـ أنا آسفة.

ـ أنت كاذبة مسلية لكنك غير مقنعة أبداً. والآن أخبريني، إن لم تكوني هنا لإغوائي... للأسف... فلما أنت هنا؟

ـ هناك أمر يجب أن أخبرك به...

ـ أمر مهم لدرجة أنه عليك إخباري به وجهاً لوجه؟

هزت كايتي رأسها.

ـ لا يمكن أن يكون الأمر بهذه الخطورة.

ـ على الأرجح أنك ستعتبره كذلك.

شعرت أنه من العدل إنذاره: «ظننتك قد ترغب في معرفة أنك ستصبح والداً».

جمد نيكوس في مكانه: «والد؟»

أعاد كلمتها بصوت مخنوق ثم تابع بلهجة أكثر غرابة: «قد أصبح؟»

قلقت كايتي بشدة لتحوّل لونه إلى رمادي، فقالت: «نيكوس! ربما من الأفضل أن تجلس».

أجابها بحدة: «لست أنا الحامل!».

فهدأت كايتي لرؤيته يستعيد لونه الطبيعي وقالت: «لم أكن أنوي أن أخبرك بالأمر هكذا، بصدق. وقبل أن تقول أي شيء، لست هنا لأطلب شيئاً. رأيت فقط أنه من حقك أن تعرف بشأن الطفل».

ـ أنت تحملين طفلي!

هبطت عيناه إلى بطنها المسطّح: «يا إلهي...!».

ثمّ ضرب رأسه بيده وقال: «لماذا لم أفكر بذلك؟».

بدا وكأنه يلوم نفسه فاعتقدت كايتي أنه غاضب: «أنا آسفة حقاً ولكن...».

ـ هل أنت متأكدة؟

غضبت كايتي وقالت: «طبعاً متأكدة! هل تعتقد أنني كنت لأقول شيئاً كهذا لو لم أكن متأكدة؟».

بدا نيكوس غارقاً في تفكير عميق. هزّ رأسه ولم يلاحظ غضبها: «وقد رأيت طبيباً، بالطبع».

قالت لتواجه تعبيره الاتهامي: «ليس بعد. لكنني أجريت فحصين وكلاهما إيجابي».

www.elromancia.com

ـ سأرتّب موعداً مع الطبيب في الصباح الباكر.

ـ سيقول الأمر ذاته يا نيكوس.

من الواضح أنه ما زال يأمل أن تكون مخطئة فحزنت كايتي لتصرفه.

ـ ليس لدي شك. ولكن من الأفضل أن تحصلي على عناية طبية بسرعة.

ـ لست مريضة. أنا حامل.

ـ حامل بطفلي كاترينا...

مرّر يده المرتجفة في شعره وهمس حالماً: «طفلي ينمو في داخلك».

ـ لست غاضباً...؟

نظر إليها وكأنها أصيبت بمس من الجنون ثم قال: «غاضب؟!».

ـ في الواقع، ظننت أنك لن تفرح لهذا الخبر.

ـ هل هذا هو شعورك؟

شعرت كايتي أنّ تجنّبه الإجابة عن السؤال معبّر بحد ذاته فاعترفت بحزن: «في الواقع، شعرت بالخوف عندما عرفت».

فأجابها نيكوس بصوت متوتر: «كنت وحيدة».

شرحت له بابتسامة راضية: «ولكنني الآن أحب الفكرة. لا بدّ أنّ لذلك علاقة بغريزة الأمومة».

شرحت شعورها بنبرة اعتذار في صوتها فهزّ نيكوس رأسه وأجابها: «وأنا أيضاً أحب الفكرة نوعاً ما».

فأجابته بابتسامة ضعيفة: «هذا لطف منك حقاً. ولكن ليس عليك أن تتظاهر».

بدا على وجه نيكوس تعبير انزعاج شديد: «لست أتصرف بلطف أو أتظاهر. ولا أريد أن أسمعك تتكلمين مجدداً عن طفلنا وكأنه عبء. هل تظنين أنني لا أشعر بالغريزة مثلك؟».

هزت كايتي رأسها وقد أذهلتها المشاعر التي جعلت صوته يرتجف: «هل تريد هذا الطفل؟».

ـ ألم أقل ذلك؟

ـ لا، في الواقع لم تفعل.

عبرت وجهه ابتسامة صغيرة وقال: «حسناً، لمعلوماتك، أنا سعيد. هل أخبرت كايتلين؟».

ـ لا، ولكنها تشك بالأمر ربما.

هزّ نيكوس رأسه: «هل ترغبين بحفل زفاف كبير؟».

* * *

www.elromancia.com

١١ ـ أحبك!

شعرت كايتي بالوهن في ركبتيها. لاحظ نيكوس لونها الشاحب للغاية وشعر بالقلق فحملها بين ذراعيه متجاهلاً احتجاجها الضعيف، ووضعها على الكنبة. حاولت كايتي أن تجلس لكنه منعها، فقالت له: «أنا بخير».

ـ من الواضح أنك كنت تجهدين نفسك، هل فقدت بعض الوزن؟

ـ أنا أنتبه لوزني إذ لست غبية. لكنني فقط... ظننتني للحظة سمعتك تقول زواج!

ـ من الطبيعي أن نتزوج. فأنا أعتبر أي شيء آخر غير مقبول.

ذكّرته قائلة: «ولكننا متزوجان فعلاً».

فاعترف قائلاً: «ربما على الورق. ولكنني أريد أن تجري الأمور بحسب التقاليد هذه المرة».

ـ لا يتزوج شخصان لأنهما سيرزقان بطفل يا نيكوس.

ثم أكملت لنفسها بحزن: بل يتزوجان لأنهما يحبان بعضهما.

لم يغب عن بال كايتي أن الحب موضوع يتجنبه نيكوس فهل تستطيع تحمّل زواج بدون حب؟

صحّح لها معلوماتها بصوت جاف: «بل يفعلان ذلك هنا. أنا يوناني، ووالدي كذلك. لن يقبل زواجاً مدنياً. وإن رزقت بطفل من دون زواج كنسي، فسيحرمني من الميراث ويموت خجلاً. تعرفين طبعاً أنه تعرّض لنوبتين قلبيتين منذ بضع سنوات، وخضع لعملية جراحية».

ـ تقول إذاً إنني إن لم أتزوج بك، أكون مسؤولة عن موت والدك؟

رمقها نيكوس بنظرة مستسلمة فقالت بصوت مرتجف: «أنت لا تمارس علي الضغط».

فأضاف نيكوس بعنف: «وقد يعتبر طفلنا منبوذاً».

ـ هذا رهيب!

لم تستطع كايتي أن تحاكي واقعيته فرفع نيكوس خصلة شعر عن عينيها وقال: «لست أنا من يسنّ القوانين».

ـ ولكنك تحترمها.

أتى كلامها اتهاماً له. فلامس بإصبعه طرف فكها وقال: «هل ستتزوجين بي؟».

أدارت كايتي خدها لتدسه في كفه المفتوح وتنهدت: «سيكون زواجنا كارثة».

واغرورقت عيناها بالدموع الحارة... دموع يكرهها نيكوس للغاية.

فأحاط وجهها بيديه ووعدها بصدق: «لن أجعلك تبكين».

جعلتها المشاعر العميقة في صوته تبكي مجدداً فمازحها بصوت أجش: «تجعلينني أخلّ بوعدي منذ الآن. أظن أنّ علي أن أعانقك لتشعري بالتحسن؟ إلا إذا كان لديك فكرة أفضل».

حاولت كايتي ألا تستمع إلى الصوت في رأسها الذي يدعوها بالغبية الجبانة فقالت في سرّها: ماذا جرى لتصميمك على مواجهته بفخر بمشاعرك الحقيقية يا كايتي؟

ثمّ اعترفت: «لا، ليس لدي أي فكرة».

***

كان السائق يجلس على المقعد الخلفي لسيارة الليموزين، فنزل منها مسرعاً عندما رآها تقترب: «أنا آسف. فهمت أنك لن تحتاجي السيارة قبل ساعة».

فأجابته بابتسامة مشرقة: «لن أحتاجها بتاتاً. يجب أن أقصد المدينة. سأذهب من هناك لملاقاة السيد لايكس فهلا أرشدتني إلى هذا العنوان؟».

عرضت عليه ورقة كتب عليها العنوان الذي اكتشفته عندما عادت إلى غرفتها على المركب ذلك الصباح، ثم أكملت سؤالها: «هل هو بعيد عن المكان الذي سألتقي فيه السيد لايكس؟».

أكد لها السائق أن المسافة التي تفصل بين المكانين قصيرة. اتضح أنّ كاتب الرسالة القصيرة هو الرجل ذو الشعر الفضي الذي راح يتأملها بتركيز خلال الحفلة. قدم لها اعتذاره لأنه كان ينظر إليها بإلحاح ثم تابع قائلاً إنه كان صديق أمها وقد تعرّف إليها من الصور التي أرسلتها له ألروي لولديها عندما كانا صغيرين.

كانت كايتي تتوق للتعرف إلى ذلك الشخص الذي يعرف والدتها فالتفاصيل التي تعرفها عن شباب ألروي بسيطة للغاية. لذا لم يخطر في بالها أن ترفض الدعوة لمقابلة هذا الرجل في مقهى قبل موعد الغداء. يمكنها أن تقابله ومن ثم تذهب لملاقاة نيكوس على الغداء كما اتفقا سابقاً.

وصلت إلى المقهى قبل الموعد المحدد بوقت قصير. كان الرجل ذو الشعر الفضي الذي عرّف عن نفسه باسم فاسيليس أتمازيديس يجلس في إحدى الزوايا، فوقف عندما رآها.

سألت ومدت يدها: «سيد أتمازيديس؟» أمسك بيدها ورفعها إلى شفتيه بكياسة بالغة وأجاب: «فاسيليس».

نظرت إليه كايتي بفضول. بالرغم من شعره الفضي، قدّرت أن يكون في أوائل الأربعينات أو وسطها. كان رجلاً نحيفاً وسيماً جداً، طويل القامة.

قال لها بعد أن طلب القهوة: «أظن أنني أزعجتك أمس. ولكنني تفاجأت كثيراً لرؤيتك».

ـ كنت أتساءل لما يبدو لي وجهك مألوفاً. كنت في الجنازة، أليس كذلك؟

قالت كايتي ذلك فجأة، مع أن ذكرياتها عن ذلك اليوم مشوشة للغاية. لكنها تتذكر ذلك الغريب الأنيق الذي وقف في آخر الكنيسة ورحل بدون أن يكلم أحداً. في الواقع، لم يبدُ أنّ أحداً يعرفه.

ـ ولا بد أنك من أرسل الزهور مع البطاقة المكتوبة باليونانية.

هز فاسيليس رأسه: «فكرت أن أكلمك لكن لطالما قالت ألروي إنك تنزعجين من ذكر أي شيء عن حياتها في اليونان».

ـ كنت أشعر بالغضب فقد عاملوا والدتي بطريقة فظيعة.

تنهّد الرجل واعترف لها: «كان جدك رجلاً فخوراً وعنيداً. كان يفتقدها كثيراً، أتعرفين ذلك؟».

ـ حسناً، أتمنى أن يكون قد تعذّب بقدرها.

أجابت كايتي بصراحة فهي لا تميل إلى المسامحة والنسيان ثم تابعت: «كيف تعرّفت إلى أمي؟».

ـ أنا الرجل الذي كان عليها أن تتزوّجه.

أذهل هذا التصريح كايتي: «أنت؟ وبقيتما صديقين؟...».

ـ كنت أقدّر صداقة أمك. وما إن شفي قلبي وكبريائي حتى بدأنا نتراسل. وقد تقابلنا مرات عدة خلال زياراتي إلى لندن. لطالما كانت تتوق لمعرفة أخبار الأصدقاء القدامى.

قالت كايتي بهدوء: «أظنها كانت تشعر بالحنين للوطن أحياناً».

ـ ربما. ولكنها لم تندم على قرارها أبداً. فقد أحبّت والدك للغاية.

شعرت كايتي بوخز الدموع في عينيها، فطلبت منه بصوت أجش: «أخبرني عنها. أخبرني كيف كانت في شبابها».

راح فاسيليس يخبرها القصص بطريقة مشوّقة فلم يطل الأمر بكايتي حتى بدأت تضحك بصوت عالٍ.

ـ لا أصدق أنها فعلت ذلك!

قالت له كايتي ذلك ردّاً على شيء أخبرها إياه فأقسم لها: «هذا صحيح. أقسم لك».

ثم اختفت الضحكة عن شفتيه عندما نظر إلى وجهها وقال: «تشبهينها كثيراً عندما تضحكين».

أمسكت كايتي يده بدون تفكير: «هل تزوجت يوماً؟».

ـ لا، لم يتزوج أبداً.

ذهلت كايتي لسماع هذا الصوت المألوف: «نيكوس!»

ولكن ابتسامة الترحيب ذبلت على شفتيها عندما رأت العدائية المخيفة على وجهه الجامد. شعرت بالضياع والخطر عندما رأته يتقدم ويقف إلى جانب كرسيها، ثم تابع بصوت عالٍ: «وسبب عدم زواج فاسيليس هو أنه زير نساء يفضّل الكمية على النوعية».

ورمق الرجل الآخر بنظرة جعلت كايتي ترتجف.

قالت كايتي بلهجة جافة وهي لا تفهم لماذا يتصرف نيكوس بهذه العدائية: «تعرفان بعضكما أنتما أيضاً على ما أظنّ».

فأكد لها فاسيليس: «نعم. أعرف نيكوس منذ كان طفلاً».

ـ ليس من مصلحتك أن تتكلم عن الخبرة يا فاسيليس. فقد تعرف السيدة أنك من عمر والدها.

بدا أن ضحكة العجوز أغضبت نيكوس أكثر، فقال لها: «سنرحل يا كاترينا».

ـ لن أذهب إلى أي مكان قبل أن تعتذر من فاسيليس.

ثم توجهت إلى الرجل الآخر: «صدقاً، لا أعرف ما حصل له».

تنفس نيكوس بصعوبة ثم تفوه بدفق من الكلمات اليونانية متوجهاً إلى الرجل الآخر. لم تتمكن كايتي من فهم كلمة منها، لكنها لم تبدُ كلمات ودية. كان نيكوس في منتصف كلامه عندما شحب لون فاسيليس. انتقل نظره من نيكوس إلى كايتي بذهول: «أنت متزوجة يا كايتي؟».

ـ نوعاً ما. إنها قصة طويلة.

اعترفت بالأمر، فذكرها نيكوس: «نوعاً ما؟ وكأنك نسيت أنك تحملين طفلي؟».

ـ ظننتك لا تريد أن يعرف أحد قبل أن تخبر والديك.

ـ لا تقلقا. سرّ كما في أمان معي.

وعد فاسيليس بذلك قبل أن يقف وينحني لكايتي: «إلى أن نلتقي مجدداً يا عزيزتي».

ـ أود ذلك.

ابتسمت له وأدارت ظهرها لنيكوس بطريقة معبرة. لا يمكن أن يلام الرجل للمغادرة، فنيكوس بدا مخيفاً بالفعل.

هذا لا يعني أنها تشعر بالخوف. أدركت أنها تعرف في أعماقها أن نيكوس لن يؤذيها أبداً. ستكون دائماً بأمان معه.

أجاب نيكوس فاسيليس بزئير مخيف: «إن التقيت زوجتي مجدداً فسأكسر لك عنقك. ابتعد عن زوجتي!».

بدا أن فاسيليس تقبّل ملاحظته، لكن كايتي لم تفعل. فقالت له بغضب عندما غادر الرجل الآخر: «كيف أمكنك قول ذلك؟».

أخرج نيكوس من جيبه أوراقاً مالية ورماها على الطاولة: «لنخرج من هنا».

ـ لن أذهب إلى أي مكان معك.

ـ يمكنك أن تخرجي على قدميك أو على كتفي. لك حرية الخيار.

فحصت كايتي وجهه المتجهم ووجدت أنه لم يكن يمزح: «سأرحل لأنني أريد ذلك».

ـ بالطبع تريدين ذلك.

ـ وأنا أكرهك.

ـ سنناقش أمر مشاعرك تجاهي لاحقاً.

وصلا إلى شقته بدون أن يتكلما. وإن كان غضب نيكوس قد برد عندها، فغضبها هي وصل إلى ذروته.

ـ أرجو ألّا تكوني قد أصبت بخيبة الأمل، أنا مستعد لتقديم بعض التنازلات. ولكن عليك أن تعديني بألا تقتربي من فاسيليس مجدداً.

ـ لن أنفذ طلبك. وكيف تجرؤ على إخباري من يمكنني أو لا يمكنني مصادقته؟ تصرّفت كسفاح. لم أشعر أبداً في حياتي بهذا الإحراج!

نظر نيكوس إلى وجهها الغاضب بعينين مصدومتين: «أنا تصرفت..».

وزفر ثم تابع: «تصرفت بانضباط كلي! لو أنني تصرفت مع الرجل كما أردت فعلاً لأعطيتك سبباً للاحتجاج. كيف توقعت مني أن أتصرف؟ أعود باكراً لأجد زوجتي قد ذهبت لتقابل زير النساء الأكثر شهرة في البلد، ولم تتحلّ باللياقة الكافية لتخفي الأمر عني. أخبرني بذلك سائقي الخاص!».

ـ حسناً. في المرة القادمة سأكذب عليك. هل سيجعلك هذا سعيداً؟

أمسكها نيكوس بكتفيها وهزّها، ثم زمجر: «لن يكون هناك أيّ مرّة مقبلة. لأنني لن أدعك تغيبين عن نظري. يا إلهي! لماذا تفعلين بي هذا؟».

لم يستطع قلبها الرقيق تحمل هذا الألم الذي رأته على وجهه. فقالت له: «قابلت فاسيليس لأنه كان يعرف أمي».

ضحك نيكوس بألم: «هل هذا ما قاله لك؟ اسمعي. أعلم أنّ النساء يجدنه جذاباً وهو رجل يبدو صادقاً جداً. ولكن...».

ـ لا، كان يعرف والدتي حقاً. كان من المفترض أن يتزوجا لكنها هربت مع والدي.

ـ لا. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. كانت خطيبة فاسيليس من عائلة كابسيس.

ـ وهي أمي.

بدا نيكوس مصعوقاً: «أمك هي ابنة ميكاليس كابسيس؟».

هزّت كايتي رأسها وأخبرته بمرارة: «أنكرتها عائلتها حين تزوجت بأبي. لم يكن من مستواهم».

ـ ولم يكن لك أي علاقة بهم أبداً؟

هزّت كايتي رأسها فقال نيكوس: «هذا رائع!».

ثم قال فجأة: «يا إلهي! اليوناني الذي أخبرتني عنه... ذلك الذي

عشت معه... هو أمك!»

فهزت كايتي رأسها مجدداً.

ـ أنت نصف يونانية.

ـ حاولت طوال حياتي أن أنسى ذلك...

جذبها نيكوس نحوه، فأراحت كايتي رأسها على صدره: «لقد جعلت من نفسي أضحوكة».

ـ نعم، فعلت.

ثم رفعت رأسها وأكملت: «لماذا فعلت ذلك يا نيكوس؟».

اتسعت عيناها من الذهول عندما تورّد خجلاً... تورّد بالفعل!

ـ حسناً، أردت أن أحميك كما يفعل أي زوج...

ثم ابتعد عنها وأخذ نفساً عميقاً وأكمل: «لا. تصرفت بهذه الطريقة لأن الغيرة كادت تصيبني بالجنون».

ـ شعرت بالغيرة؟

ـ أغار من أي رجل ينظر إليك. أحبك يا صغيرتي، عرفت ذلك منذ الليلة الأولى، لكنني لم أعترف بذلك حتى لنفسي. جعلتني فكرة عودتك إلى توم مجنوناً، فدعوته ليصعد إلى الغرفة. كان تصرفاً مقيتاً وكل ما قلته عني كان صحيحاً... لهذا حاولت تسوية الأمور بينكما. ظننت أني أتصرّف بنبل. قلت لنفسي إنّ سعادتك هي كل ما يهمني. وإن وجدت سعادتك مع توم، فليكن. ولكن أظنّ أنني بالغت في النبل.

ـ أنت تحبني...

أعادت كلماته محاولة أن تستوعب الأشياء المذهلة التي تفوه بها. ثم تنهّدت بحزن وسألته: «ولكن لماذا لم تخبرني بذلك؟ كنت تعيسة للغاية».

ـ لأنك تحملت فكرة الحمل وحدك؟

قالت له بحب: «لا بل لأنني كنت أنام وحدي أيّها الغبي!».

ورفعت رأسها لتنظر بعينين مشرقتين إلى زوجها الرائع وهمست: «أنا أحبك. لهذا السبب تركت كايتلين تجلبني إلى هنا. قررت أن أقول لك

www.elromancia.com

ذلك. ولكن شعرت بالجبن في اللحظة الأخيرة... لأنني ظننتك ستتزوج بي من أجل الطفل».

كانت عينا نيكوس تشتعلان بنار الحب عندما جذبها إليه وقال بصوت أجش: «الطفل نعمة إضافية».

فأجابته كايتي بابتسامة حارة: «أتعرف، لم أتناول الغداء بعد».

ـ وهل أنت جائعة؟

ـ دائماً عندما أنظر إليك.

* * *

كان الزفاف كالحلم. وعدها نيكوس أن يكون شهر العسل أفضل بعد. وكانت تعرف أن زوجها يفي دائماً بوعوده.

عندما دخل نيكوس، كانت كايتي تجلس على السرير، تغمرها هالة ذهبية من الرضى.

ـ تبدين مثيرة.

فسألته بابتسامة عذبة: «هل تريد أن تفعل شيئاً بهذا الشأن؟».

ولكن قبل أن يجيبها، رأت الهدية في يده: «هدية زواج؟»

فهز نيكوس رأسه: «منّي».

وسلّمها إياها فابتسمت وشكرته، وراحت تمزق الورق الذي يغلّفها. راقب نيكوس حماسها بابتسامة حنونة فخورة: «أرجو أن يعجبك».

اكتشفت كايتي كتاباً سميكاً، فوضعته على ركبتيها للحظة قبل أن تفتحه: «هذه..».

تصلّب جسمها كلّه عندما رأت ما بداخله. رفعت إلى نيكوس عينين مغرورقتين بالدموع قبل أن تحول اهتمامها مجدداً إلى محتوى الكتاب. عندما انتهت، وضعت الكتاب باحترام على السرير، وركضت إلى زوجها الذي فتح ذراعيه لاستقبالها. فقالت له: «ظننت أنني فقدتها للأبد. لا أعرف ماذا فعلت... ولكن شكراً لك، ألف شكر».

فأصرّ هو بتواضع: «لم يكن الأمر صعباً لهذه الدرجة. اتصلت

بالأصدقاء. كانت الصحف المحلية تملك صوراً لبيتروس في مسابقات السباحة. ولكن فاسيليس هو من ساعد حقاً. كانت أمك ترسل له صوركما، وهو يملك الكثير من الصور لأمك في شبابها».

ـ نعم، بعض هذه الصور لم أرها من قبل.

لمست وجهه بيدها وتابعت: «أنت تعرف أنك رجل رائع حقاً، أليس كذلك؟».

ـ هلا تركنا هذا الأمر سراً بيننا؟ ليس من الجيد أن يكون الإنسان معروفاً في عالم الأعمال بقلبه الطيب.

وافقت على طلبه بصوت أجش: «لا يجدر بأحد أن يعرف ما يجري خلف الأبواب الموصدة...».

فارتفع حاجباه: «وهذا يتركنا حرين لنفعل...».

ـ كل ما يحلو لنا.

أكملت كايتي جملته بنعومة، فسألها: «وهل لديك أيّ أفكار؟».

ـ حسناً، في الواقع...

بدأت كايتي جملتها ثم لمعت عيناها: «هل لي أن أهمس ذلك في أذنك؟»

أحنى نيكوس رأسه ثم قال لها عندما انتهت: «أتعرفين؟ أنت امرأة سيئة للغاية».

ـ لا، أنا امرأتك أنت السيئة للغاية. في السرّاء...

تنهّدت بسعادة وأمسكت ربطة عنقه: «والضرّاء».

تركت كايتي قسم الضرّاء جانباً. أما بالنسبة «للسرّاء»، فهي تعرف أن الأمور لا يمكن أن تكون أفضل من زواجهما.

* * *